

## الناصرية

### إمتداد الحضارة والعطاء

#### المقدمة

عقب التحول الكبير الذي شهده العراق في عام ألفين وثلاثة من طي صفحة الدكتاتورية، وثقافة القطب الواحد، إلى مزاولة العيش في خضم المتعدد والتساؤلات المستجدة ، تفجر النبض الشعبي على الساحة العراقية متعثرا مرة، ومستويا على سوقه مرة أخرى.

لقد مثل قطار الانتخابات، علامة التحول الفارقة التي تشي بالقادم الديمقراطي الجديد ألا وهو العراق. حيث تمت مزاولة الانتخابات بوصفها فعلا ديمقراطيا بناء، يتمخض عن خلاصة ( كارزمية )، تأخذ بيد الشعب إلى منطقة النور وبر الأمان.

هذه الخلاصة، تمارس تمظهراتها على أكثر من صعيد حسب الشكل الهرمي للدولة العراقية الحديثة، حيث انتقل العراق إلى ما بعد الدولة، بعد أن كان يعيش مرحلة ما قبلية الدولة، حيث يتوزع فيها الحطام على أكثر من جهة.

وليس بخاف على أحد حدث انتخابات مجالس المحافظات الأخيرة، وما أفرزته من خرائط سياسية ستعمل على رسم تشكيلات المشهد العراقي المقبل، ولعل أهم ما يلاحظ فيها أنها مورست في كل محافظة من محافظات العراق، آخذة بنظر الاعتبار خصوصية كل محافظة، وما تحمل في جغرافيتها السياسية، والخدمية، والاقتصادية من راهن وراهنات.

حيث كل محافظة شابته أختها في الإطار، واختلفت عنها في الصيغة، ولاننسى أن هذا التباين يعكس بشكل جلي تباينات خفية، وهي إما حزبية، أو ظرفية، والتي مثلت الأديم الذي تحرك عليه الناخب العراقي، ذلك الناخب البسيط الذي غيرت ورقة اقتراعه الخاصة، مزاج العقل السياسي المحرك لجهاز الدولة الكبير في هذا البلد.

وما يلاحظ أيضا أن هذه الانتخابات تختلف عن سابقتها من عدة أمور :

الأول: ان الانتخابات الأولى كان يحركها الهاجس الطائفي، فبعد أن فرضت الفوضى الخلاقة وجودها على الساحة العراقية، بات كل عراقي يبحث عن جماعة

تحميه من الذنب المفترض، والذي يترصد بالغنم القاصية كما أنها ( أي: الأولى )، لم يحدث فيها تزوير بصورة تسرق الأضواء، وتهيمن على مسارها.

والثاني: ان المواطن العراقي ربما قد أشبع إحساسه الطائفي الإيجابي، والذي كان يودي به سابقا إلى حبل المشنقة، فبات في الانتخابات اللاحقة يتمعن في البرنامج الانتخابي للأحزاب، ويدخر صوته لمن يأتي له بالخدمات الضرورية الملحة في الحياة اليومية، ضاربا عرض الحائط ما يتحدث به لسان الاحزاب، بخصوص ثقافة الرمز، والنواح على أمجاد الماضي، والذي يجعل المتكلمين به يمشون للأمام وتحدياتهم أبدا نحو الوراء.

الثالث: ان انتخابات مجالس المحافظات، برز فيها التزوير كوسيلة تتوسلها القوائم الخاسرة لإعادة إنتاج نفسها من جديد.

كل هذه الأسباب، وغيرها وقفت وراءها إرادة الناخب العراقي عارية في الميدان، تحركها الرغبة والأمل في خدمات أفضل، ومستوى اقتصادي أمثل، كأقصى غاية في المنى.

ونحن إذ نقف أمام هذه التساؤلات، محاطين بتحديات مختلفة وكثيرة، تحدونا الرغبة في تحقيق المواطنة الحقة قولاً وفعلاً، كي لا نتحدث مرة أخرى عن عنق زجاجة جديد علينا الخروج منه ولو بجلدنا، بل علينا أن نثري السعي من أجل عراق متعدد الأطياف، وموحد الرؤى، لا يستهدف سوى البناء والاعمار، وإبداء الوفاء للدماء التي سالت على هذه الأرض الطاهرة، من أجل الانسان.

الدكتور إبراهيم الجعفري كعادته، وهو ينطلق من وطنيته المبدئية في النظر الى كل الاستحقاقات الديمقراطية، زار محافظات عراقية عدة، اثناء حملة انتخابات مجالس المحافظات، مذكرا اهلها بان الاختيار لعضوية مجالس المحافظات مسؤولية وطنية، وانهم اهل لهذه المسؤولية، داعيا اياهم الى النظر بتبصر لما سبق، وتحديد الاتجاهات اللاحقة، لما يحقق خدمة العراق اجمع.

إن مؤسسة الكتاب الثقافية إذ تقدم (رحلة الكلمة)، فهي راغبة بان يطلع العراقيون جميعا على نوعية متميزة من الخطابات، والتي تنظر الى العراق ككل قوي، يتكامل بعضه مع البعض الاخر، حيث يمتعنا الجعفري بلغته المتميزة، وبأسلوبه الجميل في الطرح.

نريد من البرلمان ان يرتقي الى مستوى الدولة، وأن يئن لأئين العراقيين، وأن يفكر البرلمانيون بحجم العراقيين، وأن يخططوا لتحقيق طموحات العراقيين، حتى يتحرك عضو مجلس المحافظة في كل محافظة الى جانب اخيه عضو البرلمان في برلمان بغداد، حتى تكون الحركتان متوافقتين متكاملتين، هكذا نريد للعراق وهكذا نتطلع.

.....

اعتمد تيار الاصلاح نظرية مبنية على القيم والمبادئ والافكار، واستفاد من التجارب والحركات التي سبقته في هذا المضمار، وكلنا ندرك وتدركون ان الفكر اذا لم يجد من يحمله فلا قيمة له، الابرار من امثالكم، والحرائر من ابناء العراق هم الذين يجسدون فكر الاصلاح، ويحققون اهداف الاصلاح.

.....

هذا شعب في كل بيت من بيوته شهادة دم، قدموا اكثر من شهيد؛ ليعبروا بذلك عن أنهم لا يمكن ان يتراجعوا عن مبادئهم، لا يمكن ان يستبدلوا تلك الدماء بحفنة اموال وهم يقبلون على صناديق الاقتراع، صوت الشهداء يدوي في وجدانهم، مبادئ الشهيد تزين عقولهم واذهانهم، لا يمكن ان يتراجعوا عن حمل الامانة.

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الجعفري خلال زيارته مدينة الناصرية بتاريخ  
2009/1/18

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز:

((وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ)).

هذه هي الناصرية، الناصرية الممتدة بجذورها التاريخية الى حيث تمتد الحضارة، والصاعدة في سموها حيث تخوم التاريخ حتى يصل الانسان الى المعدن العراقي الطاهر، هذه هي الناصرية التي أبت إلا أن تسمو بأربعة آلاف وسبعمئة شهيد على طريق الشهادة، أربعة آلاف وسبعمئة شمعة من اجل ان تضئ الطريق للأجيال القادمة، هذه هي الناصرية الى جانب شقيقاتها العمارة والبصرة، تأبى أن تختزل نفسها، وانما تتسع الى حيث تتسع القيم والمبادئ.. ابت هذه المدينة إلا ان تسمو حتى بتنوعها بالضحايا، والشهداء، كانت المرأة الى جانب الرجل على مسرح التضحية، فكانت (جابرية)، من مدينة الناصرية، وكانت الشهيدة (فطيم سرحان)، من مدينة الناصرية، وكان الشهيد (عبد الغني) من مدينة الناصرية، وكان الاستاذ (فاضل)، من مدينة الناصرية، هذه بعض من نجوم الشهادة حين تلالأت في سماء الشهادة.

مدينة الناصرية مدينة العطاءات المتنوعة، مدينة البطولة، والشهامة والصمود، المدينة التي ما برحت تسجل موقفاً شجاعاً بطولياً في كل مرحلة من مراحل الدكتاتورية، جادت بخيرة دماء ابنائها وبناتها.. المدينة التي جادت بمختلف العطاءات.. مدينة الثقافة.. مدينة الشعر والفن.. مدينة الاخلاص والابداع.. المدينة التي باتت على خيرات متعددة، هذه هي مدينة الناصرية.

من يمش على ارض الناصرية، يدرك جيداً أنه يمشي على ارض وطأتها اقدام انبياء، ورواد حضارة، وحاملو الفكر، كلهم مروا من هنا، من هذه المدينة التي تعكس لك بمكوناتها مكونات الحضارة، والفكر، والقيم، والادب، والشعر والفن.

إن مدينة لها مثل هذا التاريخ، ولها مثل هذه المكانة، وإن مدينة كمدينة الناصرية حباها الله بهذه النعم، لابد ان تبني حاضرها، وتخطط لمستقبلها حتى ترتقي الى مستوى يتناسب وقيمها وكفاءاتها...

إن هذه المدينة المعطاء لابد ان تأخذ حيزها في البناء على مستوى المدينة، بل على مستوى العراق كله مادامت قد اعطت نتاجاتها الى العالم كله، على المستويين الحضاري والتاريخي، هذه مدينة الناصرية، هذه المدينة تريد ان تتحرك، ولابد من ان تتحرك هنا لتحقيق نصراً بعد نصر، وفي جولة ديمقراطية بعد

جولة، ولن تهدأ حركتها حتى تتسنى موقفاً متقدماً يتناسب مع ما حباها الله بمختلف انواع النعم، هذه هي مدينة الناصرية.

ليس غريباً ان ارى في وجوهكم هذه الاشراق الآملة الرائعة، وليس غريباً وأنا اتطلع الى ايامكم أن ارى بلمعانها لمعان العراق الموعود، والمستقبل الصاعد والواعد لبناء عراقنا على ايديكم، نريد لهذه المدينة ان تتحرك مع اخواتها من المدن لحفظ سيادة العراق، حتى تكون الحركة في كل مدينة، وتعطي الناصرية درساً للآخرين في القوة والارتقاء.

نريد من مدينة الناصرية الى جانب المدن الاخرى ان ترتقي بالوطنية العراقية، والسيادة العراقية، التي تتجسد في وحدة ارض العراق، ودستور العراق، وحكومة العراق، وبرلمان العراق، والسلطة في العراق، يجب ان يرتقي العراق حضارياً مادام قد ملك ناصية البداية، لابد ان يتواصل من تاريخه الى حاضره، ويشق طريقه الى المستقبل..

هذه هي مدينة الناصرية، تنظر مرة الى واقعها لترفض كل ظلم اطبق على صدرها الحبيب، وكل حيف عمق جراحها، كما انها تنظر بعين اخرى الى العراق الحبيب، وتريد ان تحفظ للعراق مكانته، ووحدته وسيادته..

نريد للعراق ان يرفل بالعدالة، والحرية والتعبير عن الرأي، ولذلك مدينة الناصرية تتمثل في التاريخ بثقافة ابنائها، وبحسهم الادبي الرائع، يقرأون التاريخ قراءة مستقبلية، يقفون مع (علي) القائد، مع (علي) الامام، مع (علي) المعصوم، مع (علي) رئيس الدولة، الذي امتد ببصره الى كل امصار الدولة الاسلامية، وتعامل مع الولايات المختلفة لحفظ الدولة، كيف كان يوصي مالكا الاشر :  
(ان يا مالك الرعية احد اثنين: اما اخ لك في الدين، او نظير لك في الخلق).

كما يقول له:

(يا مالك لقد وليتك خيار جندي).

لقد راعى (علي) خصوصية كل ولاية من دون ان يفرط بمفهوم الدولة، عندما كان يولي احداً على العراق يقول له :

(اياك ان تثير سخط العراقيين، لانك اذا فقدتهم من الصعب ان تتلافى ذلك).

كان يرعى العراقيين في البصرة والكوفة، وعليه ان يحفظ للدولة وحدتها، كان يفكر بكل الامصار، يراعي البصرة بكل خصوصياتها، والكوفة بكل خصوصياتها، من دون ان يصدع سيادة الدولة.

نريد عراقاً متماسكاً.. نريد برلماناً يتخطى، ويرتقي من دون ان يتراجع فتشيع فيه اعراف القبيلة القديمة، وقد شاهدنا القبائل اليوم تتخطى عمق العادات القديمة، وتتحول الى برلمانات في ادائها واعرافها وقيمها... نريد من البرلمان ان يرتقي الى مستوى الدولة، وأن يئن لأنين العراقيين، وأن يفكر البرلمانيون بحجم العراقيين، وأن يخططوا لتحقيق طموحات العراقيين، حتى يتحرك عضو مجلس المحافظة في كل محافظة الى جانب اخيه عضو البرلمان في برلمان بغداد، حتى تكون الحركتان متوافقتين متكاملتين، هكذا نريد للعراق وهكذا نتطلع.

يهمنا كثيراً، ونحن نخوض معركة انتخابية جديدة، من الذي يتقدم والاهم من ذلك، ماذا سيقدم من خطط تنموية، ومن خطوات تنفيذية، كيف سيأخذ على عاتقه اعالة الفقر في بلد غني، ويكافح ظاهرة التمزق في بلد تنفس الوحدة برئة مفتوحة، وعاش الوحدة تقليداً وعرفاً، من دون ان يتعثر ابناء العراق بخلافات جزئية، بين ابناء الديانات والمذاهب والقوميات والمناطق والقوى السياسية.

نريد لهذه الانتخابات، وهي تتقدم اليوم وتوشك أن تنفذ في الايام القليلة المقبلة، ان تحدث قفزة نوعية، وتحقق فارقاً اساسياً، نريد لها ان تأخذ على عاتقها تحقيق الاهداف المُعطلة، وإزالة العقبات والتحديات التي قصّت مضاجع أبنائنا وبناتنا.. نريد لهذا الصوت الوطني ان يبقى هادراً، مدوياً، حتى يبقى العراق عراق الحضارات، ليس فقط في التاريخ، انما في الحاضر وكذلك في المستقبل، كل هذا يعتمد على قدراتكم، وعلى وعي ابناء شعبنا.

مع الانتخابات والتصويت، لا يمكن محاربة عناصر الفقر مرتبط بعدد الملصقات على الجدران، او الشعارات المطروحة، او الوجوه المعروفة، او الوعود التي تطرح، او الاموال التي تنفق، نريد محصلة الانتخابات أن تكون تعبيراً أميناً، ودقيقاً عن ثروة العراقيين المعنوية، عن قيمهم ومبادئهم، عن قيم ومبادئ الشهداء الابرار الذي ملأوا التاريخ، وصبغوا تربة العراق بذلك الدم الاحمر القاني.

نريد للانتخابات ان تعكس بمجموعها عناصر البناء، والقدرة التخطيطية، والتفاني من اجل الشعب، حتى يطمئن شعبنا على انه سلم الامانة لرجال يذودون بأرواحهم من اجل شعبهم.. نريد هؤلاء القادة أن لا يتسلقوا على اكتاف الشعب، انما الشعب

يدفعهم نحو المسؤولية.. نريد الذين يأتي بهم شعبهم نحو المواقع.. نريد الذين يسخرون المواقع لخدمة شعبنا.. نريد أن يضعوا مصلحة الشعب فوق كل شيء.. نريد الذين لا يجعلون من المحاصصة آفة في اجهزة الدولة.. نريد الذين يفكرون بالفقير أولاً.

لأن الفقير حتى اليوم، وللأسف الشديد يمثل الشريحة الاجتماعية الأوسع، أ لم يكن الفقير هو مادتنا، هو المادة الاساسية في اعطائنا الدم، يوم واجهنا الحكومات التي تعاقبت على حكم العراق، أ لم يكن الفقير هو الذي يدفع قيمة التحدي والحصار، أ لم يكن الفقير هو الذي من خلال بنائه الثقافي، والفكري، والمعنوي، والروحي هو الباقي دائماً في الساحة؟ هؤلاء ينبغي ان نذوب، ونتفانى من اجلهم، لابد ان تشهد الانتخابات القادمة فرقاً اساسياً ونوعياً، كل الذين تقدموا من خلال هذا العدد الذي زاد على الألف والأربع والسبعين من أبنائنا، وبناتنا، نريد منهم ان يفهموا جيداً كيف يحملون المسؤولية، وبأي برنامج جاءوا، وكيف سيستأنفون حركة اخوانهم التي ستقطع قريباً، كيف سيكملون المشوار، وكيف سيحققون نتائج..

إن ابناء الناصرية في انتظار (الناصري)، فعلى الرغم من خيراتها الرائعة في الزراعة، والري، والنفط، والآثار التاريخية لكنها ماتزال تعيش حالة الفقر، في كل مكان وانت تتجول في مدنها، وفي اقصيتها، وفي نواحيها، وفي قصباتها، تدرك جيداً انها لم تتحرك بعد، كنت أمس في (سيد دجيل)، وتذكرت ايام 1978 عندما كنت طبيباً، وكأنها بعد لم تتحرك مع الزمن، لابد من ان تشهد هذه المناطق فروقاً اساسية.. لابد ان لا يمر الزمن من دون ان يترك اثاره، وبصماته على كل مرفق من المرافق، ولتكن الحالة الاقتصادية والمعيشية في مقدمتها.

لابد ان نتذكر ان مجتمعاً كمجتمع الناصرية الذي يتعاطى الثقافة، والفكر، والادب، لا يمكن ان يتقبل وعوداً من دون التزامات عملية، من دون خطط تتكفل اهداف التغيير والبناء بشكل اساس.. نريد لحركة المحافظات ان تنسجم، وتتقوى، وتقوي الحكومة في بغداد، وتحاول ان تحول تلك الثروات على صعيد البرلمان، او الحكومة او الاجهزة الاخرى، تحولها الى ثروة حية، تنبض بالحياة في كل مرفق من مرافق هذه المدينة..

اعتمد تيار الاصلاح، نظرية مبنية على القيم والمبادئ والافكار، واستفاد من التجارب والحركات التي سبقته في هذا المضمار، وكلنا ندرك وتذكرون ان الفكر اذا لم يجد من يحمله فلا قيمة له، الابرار من امثالكم، والحرائر من ابناء العراق

هم الذين يجسدون فكر الإصلاح، ويحققون اهداف الإصلاح، لذلك عمد تيار الإصلاح في كل فرصة من الفرص، لأن يتطلع الى الخيرين والخيرات من امثالكم حتى يودعهم الامانة، الامانة التي حملها المصلحون.

الامانة لا تجعل أي شخص يحمل لواء الإصلاح من موقع الانتفاع، من موقع التكسب، من موقع النظر إلى المسؤولية على انها غنيمة.. من يحمل الإصلاح لابد ان ينذر نفسه من اجل شعبه.. لابد من أن يؤثر الآخرين عليه.. لابد من أن يتفانى من اجل الناس.. لابد من ان يعمل على ان تختفي مظاهر الفقر، في كل وجه من وجوه ابنائنا، او شبائنا، أو نساءنا.

يوم امس، كنت اشق طريقي وانظر الى وجوه الشباب، والكبار، والصغار، والنساء والرجال، رأيت في وجوههم، لوعة الحياة التي يعيشونها، ولكن في الوقت نفسه يحدوني الامل في ان أجد نفسي امام كبار بما يفكرون وهم صغار في العمر، اجد نفسي انظر الى اغنياء النفوس، والمعنويات على الرغم من فقرهم المادي، أي شعب هذا، وأية امة تمر بهذه المحن وتبقى شامخة تطاول بجبينها جبين الجبال، أي قابلية كهذه القابليات، يعلمك الشاب، والكبير، والصغير كيف تكون قوياً، واثق الخطى، ملتصقاً باهدافك، وبقيمك.

إن شعباً كهذا لابد ان يشق طريقه من خلال من يمثلونه، لذلك على كل واحد من ابنائنا، وبناتنا، وهو يتقدم في قائمة الترشيح، ان يهيئ نفسه لتحمل هذه المسؤولية امام شعب كهذا الشعب، شعب يقرأ ما بين السطور، شعب يعي جيداً الى مستوى الاحاطة بكل مشكلة، ويدرك جيداً من الجدير بحل هذه المشاكل.. شعب لا يخذل احداً، هذا شعب غير الذي كان في زمن الحسين (عليه السلام)، في بعض جوانبه، هذا شعب في كل بيت من بيوته شهادة دم، قدموا اكثر من شهيد؛ ليعبروا بذلك عن أنهم لا يمكن ان يتراجعوا عن مبادئهم.. لا يمكن ان يستبدلوا تلك الدماء بحفنة اموال وهم يقبلون على صناديق الاقتراع، صوت الشهداء يدوي في وجدانهم، مبادئ الشهيد تزيّن عقولهم واذهانهم، لا يمكن ان يتراجعوا عن حمل الامانة.

إن عائلة تعطي شهيداً، وعائلة تصل في بعض الاحيان الى خمسة او ستة، بل تتجاوز العشرة شهداء في البيت الواحد لايمكن ان تنسى، وأي شهيد تعطي .. ليس كل شهيد شهيداً، يعطونك الكم من الشهداء، ويعطونك النوع من الشهداء، من خلال شهاداتهم، وعلمهم، واخلاقهم، ويعطونك الكيفية في الشهداء، كيف قتل الشهداء، من قتل كما قتل الكثير من الشهداء.... بقطعهم بالسيف، او اطلاقه



رصاصه، بفنون التعذيب التي تهتز لها الجباه، وتقشعر لها الجلود والضمانر، لو عرف العالم ما الذي جرى في ارض العراق.. هذا الشعب، شعب الشهداء، شعب قدم هذا العدد الغفير والكبير من الشهداء، لطأط العالم رأسه احتراماً، وتقديراً لشعبنا..

إن شعبنا يدرك جيداً، وهو يتذكر شهداءه وعلماءه يتذكر السيد الشهيد الصدر الاول بكل عظمته، ويتذكر الشهيد الثاني بعظمته، ويتذكر كل الشهداء من العلماء، والكوادر، والاحزاب، والحركات يتذكر هؤلاء، ومن يتذكر اكثر من الشهداء حتى يكون اكثر وفاءً، فيتذكر الامهات اللاتي انجن الشهداء، واللاني سيواصلن انجاب الابطال للوطنية العراقية، ومثلما كان شعبنا سخيّاً بقيمه، فسيكون سخيّاً بإمكاناته.. بتواصله نحو المستقبل.. بتحويل ثرواته.. بتحقيق سيادته.. بتطوير اجهزة أمنه.. بإشاعة ثقافته المسالمة.

رأيتم قبل قليل احدى بناتنا (سناء)، تعطي منصة اللقاء لتلقي عليكم قصيدة؛ ليسمع العالم أن المرأة التي عانت، ولم تزل، تقف إلى جنب اخوانها، وامام ابائها لتلقي قصيدة تمزج فيها بين غرض القصيدة والفكر، هذا هو شعبنا الجديد.. هذا هو الشعب.. وهذه هي قيمنا؛ لذلك ينبغي ان نحیی مجتمع الناصرية بكل ما حفل به من شهداء، وثقافة، وفن وانتاج، أحيي الفلاح الذي يتصبب جبينه عرقاً من اجل ان يأكل الآخرون، وأحيي العالم الذي يسهر من اجل ان يسهم في بناء العراق الجديد، وأحيي الذين يعملون بالمؤسسات الخدمية جميعاً، وأحيي رجال الشرطة والامن، وأحيي كل هؤلاء، ثم أحيي أبناءنا وبناتنا الذي يقدمون الآن على مواسم الانتخابات واقول لهم :

إن أي احد منكم سيخرج وفي عنقه الأمانة، لابد أن يرتقي لها، ويشهد الله أننا عندما اخترنا من اخترنا، انما اخترنا الذي نعتقد بأنه تحلى بعناصر الوطنية، والامانة والكفاءة، والسهر والدأب على حقوق المواطنين، والفقراء خاصة، وان الناصرية واحدة من المدن العراقية التي لم تزل تننّ من كل هذا.

لا نحتاج اكثر من أيادٍ مخلصه، اياد قوية.. ضمانر مخلصه، وشخصيات امينة على حمل هذه المسؤولية، لابد من أن ننهض بهذا الواجب المقدس؛ حتى يرحل ابناء الناصرية الى جانب اخوانهم، من هذا الوضع الاستثنائي، الى مستوى التطور..

مرة أخرى اكرّر لكم شكري، وتقديري ومحبتتي، ولا يسعني إلا أن أبادل تحياتكم بأجمل التحيات، وترحابكم بأعمق الترحاب... أشكر لكم كل كلمة، وكل شعور.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ربما تتصدّر بعض الدول بأسلحتها النووية، واقتصادها القوي، وربما في بعض الجوانب الأخرى، لكن ليس بالضرورة أن الدولة ذات القدرة التسليحية، والاقتصاد القوي، هي التي تتصدر في الجانب الفكري.

.....

نحن ابناء الدليل والبرهان، لا غضاضة ان نأخذ من الآخر أبداً، ومادام مفهوم الثقافة صحيحاً، ندور حيثما يدور الصواب، ودليل ذلك البرهان.

.....

ان التربية تبدأ مع الطفل قبل ان يبدأ المدرسة الابتدائية، منذ السنوات الاولى، لا أبالغ اذا قلت ان الاشهر، بل الايام الاولى من حياته حاسمة في التربية.

.....

حدد مصطلحك، ماذا تقصد؟ الاسلامي السابق، يختلف عن بعض حالات الاسلاميين الذين نراهم نحن، الاسلامي الآن يختلف عن المسلم، من يعمل ويعود الى الشريعة الاسلامية ويطبق الاحكام الشرعية في حياته إسلامي.

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الجعفري خلال لقائه عدد من مثقفي مدينة الناصرية  
بتاريخ 2009/1/18

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أتوجه بحديثي لمجتمع الناصرية، كإنسان يتحدث مع مجتمع يتميز بالثقافة، فما بالك حين تتحدث في وسط فيه من أساتذة الجامعة، ومن رواد العلم والمعرفة، بالتأكيد سيكون الحديث والاستماع لهم نقياً، وطيباً ومحبتاً للنفس... أنطلق من الآية القرآنية الكريمة:

((أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا)).

تذكرت هذه الآية القرآنية الكريمة، وأنا في طريقي إلى الطاولة، وتذكرت مصطلحاً جديداً من إفرازات القرن العشرين وهو (الموت الثقافي)، ولفت انتباهي هذا التشخيص الدقيق، ولمحت المصطلح بنحو يجعل للموت معنى جديداً، وهو (الموت الثقافي)، ثم تذكرت أن الآية القرآنية الكريمة، تشير إلى الموت الثقافي والحياة العلمية:

((أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا)).

إشارة صريحة، لطرح جديد، وهو أن الحياة لها مصاديق متعددة، وبمفهوم المقابلة الموت هو الآخر له مفاهيم متعددة، فأحدى معاني الحياة الستة التي طرحها القرآن الكريم، (الحياة العلمية)، و(الحياة الثقافية).

الإنسان يكون حياً بعلمه وبثقافته، وربما كثر الكلام حول تحديد الثقافة، وبحكم العلاقة المباشرة بين مصطلح الثقافة ولفظ الثقافة، يشير الى معانٍ كثيرة، قد تصل إلى نحو عشرة معانٍ، ومشاهير الكتب والموسوعات أيضاً، تعرّف الثقافة، وربما تتجاوز هي الأخرى العشرة.

(الثقافة) تعني: الحنكة، والذكاء، وتعني: التقويم والتعديل؛ وأتصور أن الثقافة من مقولة التربية، وليست من مقولة التعليم، وكان العربي والفارس إذا ذهب إلى

ميدان المعركة، وسوح الوغى يأخذ معه قطعة من الحديد الثقف، حتى يقوم بها سهمه، ورمحه اذا اعوج، الثقف: يثقف ثقافة وهو التقويم والتعديل، ومن ثم الثقافة استعارة رائعة تستخدم في مجال الفكر، ولعل الثقاف هو تبادل الأفكار، والمتثقف مثلما يكون مثقفاً في المعركة يستهدف عدوه وخصمه، ويصيب الهدف، فالمتثقف هو الآخر يستهدف المتلقي، ويصيب في ذهنه هدفاً معيناً لتصحيح فكرة أو لملء فراغ.

الثقاف: هو تبادل الثقافة بيننا وبين الآخرين، ولاشك في أن كل مفردة من المفردات التي تتحرك في حياتنا مبنية على مفهوم، سواء كان هذا المفهوم صحيحاً أم خطأ، ومهما كانت خلفيته المعرفية، ولكن بالنتيجة ما من تصرف، أو مفردة في السلوك إلا وتقوم بهذا المفهوم، ومع جمع المفردات السلوكية تعكس جمعاً معرفياً في شعور الإنسان، ولا شعوره، إذن نحن في المجتمع، ونتعامل بمجموعة سلوكيات، تعكس بحالتها الإجمالية حالة ثقافية إجمالية.

الثقافة عادة تسبق إعادة بناء البنى الفوقية في المجتمع، فالدول التي صممت على شن الحروب بدأت بثقافة ما قبل البدء بالحرب، كالنازية مثلاً في ألمانيا، والفاشية في إيطاليا، حيث أشاعت ثقافة التسيد، ودعت إلى تسيد الدم الألماني مثلاً في ألمانيا، وكذا في إيطاليا وثقافة الضم، ضم بعض الدول، بعد أن شاعت هذه الثقافة، وتبناها طلاب المدارس وكثير من المثقفين، ومفكرون كثر يرقون الى مستوى المنظرين، وأساتذة في الجامعات، وحتى الجنرالات الكبار في الجيش النازي، كانت تتمتع بعمق ثقافي كبير، كل هؤلاء بدأوا يدعون إلى الفكر النازي.

إذن أنت أمام ثقافة سبقت الحرب، وبررت للحرب، وجرت العالم إلى ما جرت إليه، وبالمناسبة الحزب النازي بُني على ثقافة لكنها اكتسحت، وامتدت الى عقول الشباب؛ فاستطاع أن يحصل على نسبة ثمان وسبعين في المائة وثمانية بالعشرة، وهذه النسبة تعبر عن أكبر ديمقراطية في الدول الغربية.

لم يأت هتلر والحزب النازي على ظهر دبابة، بل جاء بعملية ديمقراطية، والناس كانوا بملء حريتهم يختارون الحزب النازي، لأن هناك ثقافة سبقت ذلك، وقتل مثل ذلك في الكثير من المجتمعات التي تبنت ثقافة معينة، ترتب عليها بناء فوق مؤسسات، وما شاكل ذلك ومناهج.

نعيش وإياكم اليوم، عصراً تجاوز (الفيتو) الثقافي اذا صح التعبير، والحصار الثقافي، انه عصر المعلومات، ومن يكتب في أقصى العالم، يقرأه في الأقصى الآخر.

الآن تستطيع أن تنزل، وتقرأ: (صموئيل هنتكتون)، و(فرانسيس فوكوياما)، و(توماس فريدمان)، هؤلاء الكتاب يكتبون، والناس تقرأ لهم، وترد عليهم، الساحة للرأي الأقوى، والفكر الأقوى والاعمق؛ لأن الثقافة تعولمت، وانفتحت واختزل الزمن، وكذلك اختزلت المسافة، حتى أن (توماس فريدمان) في ثاني، او ثالث كتبه، كتب (العالم مسطح).

لم يعد احد في العالم، يأخذ زمناً حتى يستطيع ان يطلع على الرأي الآخر، من هنا حان الوقت لكل المثقفين، أن يدلوا بدلوههم، وأن يصدروا ثقافتهم، مادام المتلقي للثقافة يخضع للدليل القوي.

ربما تتصدّر بعض الدول بأسلحتها النووية، واقتصادها القوي، وربما في بعض الجوانب الأخرى، لكن ليس بالضرورة أن الدولة ذات القدرة التسليحية، والاقتصاد القوي، هي التي تصدر في الجانب الفكري.

إن للفكر مسارات، وللفكر قيم ومبادئ، وتأثيرات وترقيات عند الآخرين، لذلك علينا أن نعي ونحن نتحرك في المجال الثقافي، أنه مع التلوث المتحرك (المعطي الثقافي، والمتلقي الثقافي، والوسيط الثقافي أو المنهج)، كيف نستطيع أن نأخذ دورنا، ونعرّف بثقافتنا وبأفكارنا، وأن نتلقى أيضاً من الآخرين ما نعتقد أنه صحيح، وليس هذا غريباً على مبادئنا وقيمنا، والقرآن الكريم يشير بشكل صريح: ((قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)).

نحن ابناء الدليل والبرهان، لا غضاضة ان نأخذ من الآخر أبداً، ومادام مفهوم الثقافة صحيحاً، ندور حيثما يدور الصواب، ودليل ذلك البرهان، والممعن في القرآن الكريم، يجد إضافة الى انه مقدس، بل هو اقدس الكتب من دون استثناء، هو يشير من جملة ما يشير الى هذه التراتبية العلمية الثقافية، يجعل حالة من الحركية، والدينامية في الارتقاء.

يرتقي الانسان، ويصعد طالما لديه وعي الذات، وعنده وعي الآخر، فيدرك انه يجلس في موقع المُعط القوي؛ فيأخذ منه، ولا يجد في ذلك ضرراً، ولا يعيش عقدة العمر، او الشهادة الأكاديمية يأخذ كل شيء من حوله، وكذلك الحال في القرآن الكريم فهو يسبق الدينامية في الرتبة العلمية، ولا يحدد زمناً على الإطلاق :

((وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)).

((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)).

رواد العلم، وحملة المعرفة يتميزون عن الآخرين، يتميزون بعلمهم، والمجتمع الذي يتميز فيه العالم عن غيره مجتمع حي، ولذلك فضّل الله (تبارك وتعالى)، أهل العلم على غيرهم، وأعطانا قاعدة عقلية في القرآن الكريم:

((فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)).

على كل جاهل، ان يرجع إلى العالم المختص في حقل اختصاصه، عندك قصيدة ولا تملك قاعدة في علم العروض، من الطبيعي أن ترجع إلى الذي يدرس علم العروض، وعندك مثلاً مادة الرياضيات، فترجع إلى المختص في مادة الرياضيات، وهكذا في كل شيء ترجع إلى المختص، ومرة أخرى يتفوق صاحب العلم، حيث يدلّو بدلوه في المجالات المختلفة، وكذلك الحال، حين وضع لنا دينامية للتعلم في الزمن:

(اطلب العلم من المهد الى اللحد).

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وضع لنا دينامية جغرافية مفادها، ان لا نتجمّد في البيئة التي نحن فيها :

(اطلب العلم ولو في الصين).

وسبحان الله، ليس من محض الصدفة ان يكون (باكون) الذي كتب عام 1625 كتاب (ثلاث اختراعات غيّرت وجه العالم)، منذ ذلك القرن، أي: القرن السابع عشر، إلى الربع الاول من القرن السابق (القرن العشرين)، اثار بكتابه الى اعتبار المغناطيس انعطافة في الطرق البحرية، وفي توجيه السفن، وبالوقت نفسه الورق الذي هو وحدة بناء الاعلام، والتطور الفكري، والبارود وحدة بناء الاسلحة، والتفوق العسكري، في الوقت الذي تكون هذه الصناعات الثلاث (المغناطيس، الورق، البارود) هي صناعات صينية، أخبرت القيادة الصينية عندما زرت بكين: أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما قال :

(اطلبوا العلم ولو في الصين).

لم يكن غرضه تشبيه الصين باعتبارها تمثل الأقصى الجغرافي فقط، بل ربما كانت إشارة كريمة، إلى أن الصين تختزن من جملة ما تختزن الكثير من المكتشفات والمخترعات..

العلم والتسابق العلمي، واختزال الكثير من الجهود، يتطلب من رواد العلم والمعرفة، وخصوصاً عندما يعتلون منصة الجامعة، ان يعملوا على إثراء البلد من

الناحية المعرفية والثقافية، ولا أريد أن أحول الموضوع، الى موضوع ثقافي فأنا أدرك جيداً ان الجامعات هي الأخرى تعيش مأساة، ومآسي عميقة بسبب عدم الاكتراث بميزانياتها، ومستلزمات راحة الطالب، وعوامل التطور الموجودة، واريد ان ابقى في مسألة المحور الثقافي، واهمية الثقافة..

الثقافة لا تشكل لنا في هذا البلد، في هذا المقطع من الزمن عقبة، وعقدة من احد، فالشعب العراقي من جملة ما عُرف به هو توقه الحاد، وشدة ارتباطه بالثقافة والمتقنين، ويجب ان نسبق كل ظواهر البناء الجديد، بقاعدة ثقافية جديدة، انما نسمي الحالات الشاذة، او المفردات الشاذة، أسميها (ظاهرة)، لأنني اتمنى ان تظهر حتى تنتهي، وانما اسمي المفردات الايجابية، والبناءة (حالة)، لأنني لا اتمنى لها ان تنتهي.

لو نظرنا الآن بشكل دقيق، وأمعنّا النظر إلى مجتمعنا، سنجد فيه تعدداً دينياً، وتعدداً مذهبياً، وتعدداً قومياً يعكس ثقافة، لكن عندما تقوم هذه السلوكيات والنمطيات، وتعكس بذلك ثقافة بناءة نجد التعايش، والتحابب، والوعي المشترك بين ابناء المذاهب الذي لا حدود له، وكذلك بين ابناء القوميات، والذي قد يفضي بالنتيجة الى التصاهر، والى التعايش، والى التحابب والتواد، فيما نجد ظاهرة التعدد المذهبي عندما تقوّض هذه الثقافة، بثقافة اخرى، ثقافة طائفية، تحل حالة الاستعداء والكراهية، قد تجر الى الاقتتال -لا سمح الله- هذه حالة مأساوية.

من هنا تقع المسؤولية على عاتق المفكرين، والمنظرين، واساتذة الجامعات، وعموم المثقفين أن يحددوا ما ينبغي ان يعملوا إزاء هذه الحالة، ويعيدوا البنى الفوقية للتعدد المذهبي على قاعدة التعايش، والتعارف المذهبي، وليس على اساس التعصب الطائفي.

من الممكن أن أتصور أن مثقفاً غير سياسي، ولكن، بل يستحيل أن أتصور سياسياً ناجحاً غير مثقف، فلا يستطيع أن يتعامل مع مفردات شعبه، او يتعامل مع المؤسسات كافة، أو يُقر أو يطبق خطأً تنموية على هذا الصعيد، أو ذلك الصعيد من دون أن يكون له رصيد ثقافي؛ حتى يعرف ما يتعامل معه، والى اين يريد ان يذهب ويأخذ شعبه، فالثقافة اليوم بالنسبة لنا حياة، وعن ذلك يعبر القرآن الكريم:

((أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ)).

وليس بين الناس فقط، بل يمشي، ويمتد الى عقولهم وقلوبهم، هذا هو معنى الحياة الحقيقية.

من دون شك، أن ثقافة الصورة اليوم تغلب، وتتقدم على الأنواع الأخرى، كثقافة المشافهة، والصورة عادة أبلغ، وليس من رأى كمن سمع، العراق تجربته جديدة بعد السقوط، ولا يخفى على حضراتكم، أن من جملة ما عانى منه العراق من صنوف الحصار هو الحصار الثقافي.. الخريج العراقي في الخارج كانت سمعته عالية جداً، ومطلوباً في مختلف الاختصاصات، في الطب والهندسة، عندما كنا في بريطانيا كان نحو 3500 طبيب، وربما وصل الآن الى 5000 طبيب لا تخلو منهم كبرى مستشفيات بريطانيا ومن الكفاءات العالية، وكذلك في امريكا يوجد نحو 2000 طبيب، لا أعلم عدد المهندسين، لكن لدينا اطباء، ومهندسون سمعتهم ممتازة، جامعات تخرج على مستوى عالٍ جداً.

لكن للأسف الشديد، بعد الحصار الذي ضرب على العراق، وامتد إلى نهاية العقد الأخير من القرن العشرين من سنة 1991 الى نهاية 2001، تأذت الجامعات كثيراً، وتركت الحروب آثارها، وبصماتها على الحقل الثقافي والعلمي، لذا يجب أن نعيد للجامعة، ولمراكز الدراسات الإستراتيجية حيويتها، ومن غير المعقول، أن لا تبني الدولة تصوراتها على خطط، ودراسات إستراتيجية لطبيعة التطور المستقبلي، وعن طبيعة التحديات الموجودة.

ليس غريباً عليكم أن النكسة الاقتصادية التي حصلت في امريكا، والتداعيات التي حدثت مع ذلك كان مفاجئاً.. مفاجئاً جداً، على اعتبار ان الاستراتيجيين الاقتصاديين، لم يكن في بالهم أن ينهار الاقتصاد بهذه السرعة، وتعرض امريكا وكثير من الدول الغربية الى ما تعرضت له، وفقدت ثقة المواطن، الذي يتعامل مع البنك، ومع العقار، ومع الكثير من الأشياء، لقد أثرت هذه الازمة الاقتصادية تأثيراً كبيراً جداً.

لو تحدثنا بمستوى الحكومة، وهي مؤسسة من مؤسسات الدولة تؤدي دورتها، وقد تتجدد لدورة أخرى، لكن من يفكر بحجم الدولة، هو من يتعامل مع القاعدة المجتمعية.. يتعامل مع شعب.. يتعامل مع دستور في بناء حركة المؤسسات.. يتعامل مع الحكومة باعتبار أنها مؤسسة، فهي تتعامل مع السلطة، ومع الأجهزة البرلمانية..

نحتاج أن نجعل في الجهاز التنفيذي، شخصيات ذات عقلية تتصدى لهذا الجهاز المهم، ذات قراءات إحصائية، يجب أن يكون المتصدي للأجهزة التنفيذية على بيئة من حقيقة ما يدور في البلد، وما يواجهه من تحديات، وما أكثر ما يواجهه



البلد من التحديات! فلا يتعامل معها بشكل عفوي، إنما يواجهها بعقلية بعد أن يخطط لها.

الجانب العلمي، والدراسات الجامعية مطلوبة ومهمة، وأنا أدعو إلى استقلال الجامعة، كما هي في كل بلدان العالم المتطور، وغير خاضعة لأية وزارة، حتى تبدأ الجامعة، وتنهض، وتتطور، وتستطيع أن تأتي بدراسات تكفل التخطيط، وتشكل عقلاً تنويرياً، ومساعداً حقيقياً لكل مسؤول، أي مسؤول يريد أن يتصدى لقضية يرسل إلى مسؤولين سابقين، أي: وزارة مالية، وزارة تجارة، او وزارة نفط، وكذلك اساتذة الجامعات نستمع إليهم، ونسألهم عن حل للمشاكل المطروحة.

الجامعة ايضاً، وحتى تنحى منحى عملياً لتكن هناك اطاريح لطلاب ما بعد البكلوريوس تمسّ الواقع المجتمعي، والوضعين السياسي والاقتصادي، وأنا مع إنشاء مراكز استراتيجية، تتكفل بإعداد الخطط والاستشارات العلمية الجيدة، وتقدم دراسات تجعل من مجمل نتاجاتها عوناً لكل سياسي، ولكل متصدٍ.. لاتزال هناك بدايات بسيطة، فوزارة الثقافة لاتزال تحبو وتترج، ولكن لابد من خلال اللجان المختصة في البرلمان، ووزارة الثقافة، ومؤسسات المجتمع المدني أن يدفعوا بالنتاج الثقافي، والتخطيط الإستراتيجي على ضوء الجامعات.

قد نتحمل المثقف غير السياسي، لكننا لا نتحمل السياسي غير المثقف، لماذا اقول سأتحمل، يوجد رجيل كبير من المثقفين اخذوا على انفسهم ان يجانبوا السياسة وينأوا عنها، ولم يدخلوا فيها، لكن لا يمكن ان يمارس دوره السياسي من دون ان يكون مثقفاً، خصوصاً عندما يكون الشعب المعني بإدارته شعباً كالشعب العراقي.

نحن أمام بداية ثقافية، وأعني ان التربية تبدأ مع الطفل قبل ان يبدأ المدرسة الابتدائية، منذ السنوات الاولى، لا أبالغ اذا قلت ان الاشهر، بل الايام الاولى من حياته حاسمة في التربية.

اعتقد أن مرحلة القيم تسبق الافكار، مرحلة القيم تبدأ بنحت الشخصية اللاشعورية، في السنوات السبع الاولى، وهو بعد خارج المدرسة، يستقبل الكثير من الانفعالات.. الكثير من المفاهيم، وثقافة الصورة ثقافة المليء.. ثقافة المحسوس تسبق ثقافة المقروء، الطفل الذي يعيش في البيت في جو من الانسجام بين امه وابيه، غير الطفل الذي يعيش خصومة بين الام والأب، كيف اذا وصلت الخصومة، وهو يرى بأم عينه ان اباه مثلاً يعتدي على امه، هذه كارثة، ماذا تستطيع الجامعة أن تفعل، الجامعة ليست مجالاً لعلم الاخلاق ، لا قسم الهندسة ولا

قسم الاقتصاد، هذه الأقسام تخرجك أكاديمياً، أما إن تكون وطنياً، أو متربياً، أو غير متربٍ فاسد، أو صالح، فهذه ليست مسؤولية الجامعة.

البيت الذي يمثل الحلقة الأولى من المسلسل التربوي، هو الذي يتكفل بنحت الطفل بالطريقة الصحيحة، ويجعل الطفل ينشأ الى قيم معينة، قد تؤدي به الى ان يكون وطنياً مخلصاً وكفوفاً يرتقي على السلم، وقد يصل الى قمة الهرم الاجتماعي، والعكس ايضاً صحيح.

الذين دخلوا في السجون (من الماضلين)، والذين قتلوا (في سبيل قضاياهم)، والذين ارتقوا الى مستوى القيم فيما كتبوا، وتبوأوا مستوى المسؤولية، كلهم اصحاب طفولة واحدة، لكن المجرمين عاشوا اجواء استثنائية.. عاشوا قيماً شاذة تراكت لديهم، وأتت الحلقات المتأخرة من المسلسل التربوي، ونمت هذا الشيء من اسرة سيئة، وعُرف اجتماعي سيء، الى علاقات سيئة في المدرسة، الى انتماء سيء، الى ثقافة سيئة نحتت فيها مجرمين، وقادت العالم الى حروب، وهذه نماذجها (هتلر) و(موسليني)، ومن يحلل شخصية هؤلاء يخرج بهذه النتيجة.

على الضفة الاخرى، تجد ان الذين تراكت لديهم قضية القيم، والمبادئ، والمفاهيم والتي هي البنية التحتية، نشأوا في اجواء واعدة.. تغذوا على الحب.. الطفل لا يقرأ حباً ولا يقرأ كرهاً، إنما يعيش الحب.. يتنفس الحب، ويتنفس الكره، من أمه وأبيه.

بناءً على هذا، نرى ان من يأخذ حصة من المشاعر الطيبة تنمو لديه قيم الخير فلا يعاني من نقص، كالطفل الذي يأكل في بيت أهله، يتغذى بدنه على الطعام، لا يتطلع الى طعام اضافي من الخارج، كذلك القيم، والمحبة، والاحترام، والثقة بالنفس.

لذلك يجب ان نهتم بالاسرة، ويجب ان يكون هناك تضافر للجهود بين المدرسة والاسرة، ويجب ان يكون هناك تلاقٍ مستمر بين الالباء والمعلمين، حتى يكمل بعضهم البعض الاخر، حتى ننشئ هذا الجيل الجديد، الجيل الذي نعول عليه كثيراً والذي من شأنه ان يأخذ بالعراق، وينتقل به نحو الافضل.

بصراحة إن الخمس والثلاثين سنة الماضية - في تقديري - كانت مشروعاً تخريبياً لتقطيع الجسور الممتدة بين الناس باستبدال قيمها بقيم جديدة، استدراج الطفل الذي تسبب بقتل ابيه.. استدراج الطالب الذي يعتدي على أستاذه، هذه قيم ليست قيماً صحيحة، يقولون إن (كونفوشيوس) كان قاسياً (وانا لا اعتقد ذلك) دليلهم

على ذلك، انه عندما مات ابنه، لم يبك عليه، لكن كان له مجموعة من الطلاب عندما مات ادهم بكى عليه بكاءً مرأً وقال :

لقد خانتني السماء.

لقد كانت الثقافة السائدة في تلك السنين (سنوات حكم البعث)، بدلاً من أن تعمق العلاقة بين الطالب والاستاذ، لخلق حالة من المحبة بينهما، كانت تفسد على الطالب، وترفع شأنه على أستاذه على أساس أنه مُنتمٍ ونقطة ضعف الأستاذ أنه غير منتمٍ، أرى ذلك الان، فالمحاضرة السيئة قد تجعل الطالب يجرؤ على أستاذه -لا سمح الله- بدلاً من ان يعتبر نفسه جالساً بحضرة معطٍ، بمنتهى الخلق والادب، يأخذ منه، يكرمه، يوقره، هذا النوع من القيم السلبية سببه مشروع امتد خمساً وثلاثين سنة، وسقوط رمز المشروع لا يعني سقوط كل آثاره بشكل تلقائي، وأوتوماتيكي، بل ستأخذ جزءاً من الوقت.

التربية الصحيحة تأخذ وقتاً، بين زرع القيم، وبين ان تحصد نتائجها، الشيء نفسه يقول عنه القرآن الكريم:

((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)).

وهكذا كانت تجربة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، والتي امتدت إلى 23 سنة، أخذت طبيعة التربية من خلال زرع المفاهيم، فكانت تلقن على المفهوم وتشرحه.

الأستاذ في الجامعة.. كالمعطي في المدرسة، من الممكن في زمن قصير أن يعتمد على ذكاء المتلقي، لكن زرع هذه الكلمة حتى تؤتي آثارها بشكل سلوك تأخذ وقتاً، اما فهم الفكرة فزمنه قصير، وخزن الفكرة زمنه قصير، ولكن تجسيد الفكرة، وتحويلها من حيز الفهم الى حيز السلوك يأخذ وقتاً أطول.

لذا نحن نحتاج الاخلاق ليس كعلم فقط، بل كممارسة حيث نشوق أبناءنا، وبناتنا على أن يأخذوا بها، ولا توجد امة تجاوزت الاخلاق، ارجو ان لا يفهم من حديثي باعتباري اسلامياً، واتشرف بأني اسلامي، بأني اريد ان اختزل حديث الثقافة وحديث التربية في الحالة الإسلامية، هذه القضية القرآنية الكريمة تحولت الى مسلمة علم اجتماع.

(جون آدمز) ثاني رئيس اميركي، والذي كان نائب رئيس الجمهورية المؤسس جورج واشنطن، قال:

لم تستطع امريكا ان تتحرر من الاحتلال البريطاني عام 1783، (عيد الاستقلال في اميركا في 4 تموز)، الا انها تحررت بعقلها من التفكير وبقلبها من الاحاسيس. هذه نظرية القرآن الكريم:

((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)).

عندما تريد ان تبني مجتمعا عليك أن تبدأ ببناء الأفراد، لا أن تتحرك بمعزل عن ذلك؛ لأن الفرد وحدة بناء المجتمع، وعملية بناء الفرد ليست من السهولة بمكان بحيث تصبح كالملابس يسهل نزعها، كما يسهل لبسها، بل هي مسألة قناعة بالقيمة الاخلاقية، ثم تتجذر وتتأصل.

بالمناسبة، ليس لدينا أزمة ثقافة بالمعنى العلمي، بل وبعض الاحيان تجد نفسك أمام ثقافة أزمة كما أعتقد، وثقافة الأزمة، أشد من أزمة الثقافة، فآزمة الثقافة: تعني أن هناك مساحات بعد لم تشرق عليها شمس المعرفة، ويمكن في المستقبل أن تأتي أساليب علمية جديدة تستطيع ان تتسع بالثقافة، وتسطع على المساحات فتغطيها بالشكل الصحيح.

اما ثقافة الازمة، فتعني: انه لا توجد ثقافة تربى على وجود تعايش مذهبي، بل يربيك على التعصب الطائفي، يربيك على الثقافة الشوفينية العنصرية، يربيك على الاحتراب، والإقصاء، ورفض الآخر.

هذه ثقافة تدعو الى الأزمة، وبعض الاحيان ترى نفسك امام مثقف متعلم، لكن لا تزال بعض القيم السيئة التي غرزت به من اول سني حياته تطفو، وتظهر فتري تناقضا بين المثقف وما يحمل من قيم، - سبحانه الله- يوجد أناس جيدون، فالبعض مثقف، يتكلم بأدب القرآن، لكن لاتزال علامات سوء الظن، والحسد، والمكيدة موجودة، لانها مغروزة به في مرحلة القيم الأولى، وحين أخذ ثقافة مغايرة، لم يراجع قيمه القديمة على ضوء ثقافته المتأخرة.

لا قيمة للثقافة الجديدة، ان لم تراجع قيمك الاولى على ضوء ثقافتك الجديدة، وبعض الاحيان بالعكس، ترى انسانا لديه ثقافة ليست جيدة، ثقافة انحرفت، لكن لاتزال القيم الجيدة التي اخذها من امه بصورة خاصة في السنوات الأولى تنبع،

وتطفو على سطح شخصيته فتتعجب، وتقول هذا إنسان ثقافته ليست بالمستوى الجيد، لكن تصدر عنه تصرفات جيدة جداً.

أنا أتذكر بعض اخواني حدثوني قبل استشهادهم، أن بعض ازلام السلطة يعذبون السجين، ويبتزونه ويعتدون على السجين، ويتلفظون بألفاظ غير لائقة، لكن تصدر عن بعضهم تصرفات تدل على وجود قيم متبقية فيه من مراحل حياته الأولى.

من كل هذا الكلام، يجب ان نهتم بصياغة الاسرة، ونؤسس معها من خطواتها الاولى.. منذ العلاقة الزوجية، فهي ليست عملية انسجام بين عمريين، وشكلين ودخلين اقتصاديين، وشهادتين اكاديميتين، ليس الامر كذلك، كلمة زوج كل شيء له شبيه يشاكله فهو زوج، يجب ان يكون هناك تماثل، وتقارب نفسي، وروحي، وثقافي حتى يستطيعا أن يتكاملا، ويتقبل احدهما الآخر.

لكن، للأسف الشديد من جملة ما يعتقده المثقفون، ما علاقة ثقافتهم بأصل نظرية العلاقة الزوجية، نفهم عندما ترحل البنت من بيت ابوها انها ستنضم الى زوج معين، والزوج كذلك سيضم زوجة معينة، ويعيشون الرأي الواحد، واي اختلاف في وجهة النظر، اذا بهم يفتعلون ازمة، هذا كله خطأ..

نحن نحتاج لأن ننظر، ونقدم صوراً حية؛ حتى تكون الحلقة التربوية الأولى المهمة، والتأسيسية هي ان البيت مصنع لنشوء رجال المستقبل ونسائه، كل الذين تصدوا، والذين برزوا في ميادين العمل المختلفة، بالقوة، او الضعف، بالامانة او الخيانة، من دون شك لعبت الاسرة دوراً خطيراً في بناء شخصيتهم، يجب أن نهتم بعلم الاخلاق، والاكاديميات لا تتكفل بالتربية، انما تعطي علوماً فقط.

أعتقد أن الوقت قد حان لأن نميز بشكل دقيق، مثلما نميز بين الإسلام والمسلم والإسلامي، ونميز ايضاً مادام الحاضرون أصحاب ثقافة، ورأي ومن المنظرين بين الإسلاميين انفسهم، كما ينبغي أيضاً أن نميز بين العلمانيين انفسهم، فالمصطلح في حركة مستمرة. أعتقد ان العلمانية تنوّعت، وكذلك الإسلامية تنوّعت، بعض الإسلاميين عندما يختلف مع الآخر يستبيح دمه، ليس صحيحاً أن نقول إن هذا إسلامي، وهذا كافر أو غير اسلامي؛ فدعونا نحلل المصطلح كما يقول (هيغل) :

حدد مصطلحك، ماذا تقصد؟. الاسلامي السابق، يختلف عن بعض حالات الاسلاميين الذين نراهم نحن.. الاسلامي الآن يختلف عن المسلم.. من يعمل،

ويعود الى الشريعة الاسلامية ويطبق الاحكام الشرعية في حياته إسلامي، لأنه أخضع سلوكه لمعايير الإسلام، عندما نقول اسرة اسلامية، بمعنى أن العلاقة الزوجية، والعلاقة بين الابناء تخضع لأحكام الشريعة.

حينما نحدد المصطلح، يجب أن نحرص على ان لا يقع الإسلام ضحية، ليس كل الذين نادوا، وتكلموا بالاسلام أصابوا الرأي، هذا الجانب الآخر، حتى الذين استوعبوا النظرية، أعتقد أنهم يحتاجون لأن يأخذوا وقتاً كافياً لتطبيقها، وترويض النفس على بعض الممارسات... الحالة الاسلامية في زمن المعارضة، كانت مستهدفة من قبل عدو مشترك، فلم تظهر لنا مشاكل كما عشتها في الخارج.

في زمن المعارضة، كنا نرى ان بعض الاشياء الموجودة مشاكل بسيطة تنحل ببساطة، لكن عندما انتقلنا إلى مرحلة الدولة والحكم، تفاقمت المشاكل، وبرزت الحالة الذاتية، فيجب أن نعيد النظر، ونتمثل بخلق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأهل البيت (عليهم افضل الصلاة والسلام)، فسنجد صوراً ناصعة، وهناك تجارب القادة السياسيين في العالم، وهم لا يمتنون للإسلام بصلة، لكنهم كانوا يتمتعون بحالة أخلاقية عالية.

(نلسون مانديلا) ليس مسلماً، ولا متديناً، ليس لديه أي التزام بديانة، يكتب عنه (بل كلنتون) بمذكراته (حياتي) انه جرى حوار بينه وبين (نيلسون مانديلا) حين كان (كلنتون)، مسافراً لجنوب افريقيا، اثناء رئاسته الثانية لاميركا، حيث يأخذه (نلسون مانديلا)، الى جزيرة كان محكوماً بها بالاشغال الشاقة المؤبدة، والجبل الذي كان يحفر به، سأله (كلنتون): كان هؤلاء معذبك، كيف دعوتهم وانت رئيس جمهورية، الى حفل التدشين لرئاسة الجمهورية، هؤلاء معذبوك؟ قال له: لاني اريد ان اتحرر، والا فاني لازلت في السجن، وانت يا (كلنتون)، عليك ان تتعامل مع خصومك بهذه الطريقة.

رجل (مانديلا)، الى الامس القريب كان في السجن، مضطهد، ملون، ينصح رئيس اكبر دولة في العالم، ويعطي لكلنتون درساً في الاخلاق، في نفس الصفحة يقول كلنتون: لازلت لا اتعقل القضية معقولة، أ لست أنت بدم ولحم وأعصاب.. هل يُعقل أن تأتي هؤلاء امامك تنظر إليهم، وكانوا يعذبونك في الامس القريب، وانت رجل تقود، فقال لي: أنا افكر بعقلي لا افكر بعقلهم.

الأخلاق إخواني، مشترك كل الديانات، يختلف دين عن دين في الشريعة، ولا اريد أن أستغرق بالأمثلة كثيراً، وحصل مع كثير من قادة العالم، لا نعتقد ان الذي يريد ان يحكم، والذي يريد ان يرشح نفسه، عندما تمتد يده إلى صورة احد المرشحين،

انت الذي لا تؤتمن على صورة منافسك، كيف ستكون اميناً على امواله، وعرضه وعلى كرامته، والامام زين العابدين (عليه السلام) يقول:

(والله لو أن قاتل ابي ائتمني على السيف الذي قتل فيه ابي لأديته له).

انظر الى هذا الخلق الذي لدينا، المعلم، والمدرس، والمربي، والمفكر، والمصلح، عليه ان يمارس دوره الاصلاحى، ماذا يعني ان تكون مصلحاً، أي يوجد فاسد، لماذا اصبحت معلماً بالنحو، لانه يوجد لحن بالنحو، لماذا تكون عروضياً، لانه يوجد زحاف بالشعر، لماذا تكون طبيباً لانه يوجد مرضى، لماذا تكون رجل امن، يعني توجد اختراقات امنية وارهاب، لماذا عليك ان تكون مصلحاً، لانه يوجد فاسدون.

لابد لشعبنا أن يكون غنياً.. المفارقة الموجودة الآن هي ان الحكومة غنية، فموازنة العام الماضي تجاوزت الستين مليار دولار، والتقصير ليس من الحكومة لان الموازنة لا تأتي من الحكومة بالقوة، يجب ان تكون لديك مجموعة مشاريع تدور هذه الموازنات الى مشاريع عمل، وتأخذها، وتتبنها، وتطبقها في الوزارات الخدمية في الوزارات ذات الطابع الانساني، والانتاجي، والسياسي، والاعلامي وكل الوزارات بحسبها، للأسف الشديد هذا لم يحدث، لتكن الحكومة قوية وغنية، ولكن اهم شيء هو رفع مستوى دخل الفرد، وتأمين احتياجاته الضرورية والانسانية.

الآن توجد مفارقة، العراق بلد غني، ان لم يكن اغنى بلدان العالم، والشعب شعب فقير، فتوجد حلقة مفقودة، لماذا البلد لديه هذا الثراء وهذه الميزانية الضخمة والموارد المتعددة، ويبقى شعباً فقيراً.. حان الوقت لاعتماد خطط وخطوات عمل تدور هذه الثروة الى ابناء الشعب، وهم مالكون شرعيون، الان لو تذهبون الى دول الجوار من حولنا ترون مستوى المعيشة للمواطن، اعلى من مستوى المعيشة عند العراقيين، لكن مستوى الثروة اقل بكثير، ما هي المشكلة؟!

لا يوجد احد لا يملك بيتاً، ولا يملك سيارة في دول الخليج، الكويت مثلاً او في الامارات الجميع لديهم، وليس لديهم نفطنا، لذلك عندما نقول: يجب ان نجلب كفواً في كل مسؤولية، يجب ان يأتي كل انسان نزيه امين، ويجب.. ويجب.. ويجب هي ليست قضية ترتيب كلمات ومواصفات، طبيعة المهمة تتطلب ذلك.

إن من يعمل بالسياسة، ويقود بلداً، مثل عضو مجلس محافظة، او محافظ او أي شيء، يجب أن يضع في باله أن سلامة المواطنين متوقفة عليه، وخدمات

المواطنين تعتمد عليه، هذه الثقافة يجب أن نشيعها، وليس ترفاً ولا تعجيزاً بل لأن طبيعة المهمة تتطلب ذلك، نأخذ المواصفات للمسؤول من خلال وعينا للمسؤولية التي نتصدى لها.

أنا اختار غداً شخصاً يشرع، ويقرر، ويتابع، ويطبق سياسات، عدم المشاركة في الانتخابات تعني الانعزال نهائياً، وإعطاء المجال للإنسان الضعيف.. الإنسان العاجز الإنسان الفاسد يبقى مكانه، وتقطع الطريق على الإنسان الكفو، ومن جانب آخر نحارب الفساد، وننتقل لكننا لا نسهم في صناعة البديل، النتائج محكومة بمقدماتها، وهي تتبع أحس المقدمات.

لديك الان فرصة فاستغلها، وإذا كنت تريد الكفو فابحث عنه، ألا يستحق العراق أن نسأل، ونبحث عن الأمين والكفو.

الناصرية المدينة المعطاء اعطت كل شيء.. لذا علينا أن نضع الله أمام أعيننا عندما ننتخب، وضميرنا كذلك لأننا سنكون مسؤولين عن هذا الاختيار في المستقبل، لذلك إخواني، علينا أن لا نتعامل مع هذه الانتخابات على أنها قضايا عابرة، بل علينا أن نتعامل معها بأعلى درجات المسؤولية، نعم كل المرشحين أولادنا، وكلهم بناتنا ونتشرف بهم، ومن يخطئ منهم نسدده، وقد نبرر له، وندافع عنه، إلا من كان متعمداً - لا سمح الله - أو غير كفو.

شكرا لكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في بعض الأحيان تعصف الأحداث، وتشب حرائق الفرقة، والقتل، والقتل المقابل بين الناس، وتعجز الحكومة من خلال اجهزتها عن إطفاء الحرائق، تأتي القبيلة وتمد جسور المحبة، وتخمد هذه الفتنة.

.....

زعيم القبيلة، ورجل القبيلة يفخر اذا كان ابنه وبنته من ذوي الخير، ويخجل اذا كان ابنه وبنته من ذوي الشر والفساد، اما سابقاً حين كانت ثقافة الفحولة سائدة، فقد كان يفخر من كان عنده ابن، ومن كانت عنده بنت تراه منكوس الرأس.

.....



إنني فخور عندما استمع، وأنا انتقل في الدواوين بمختلف المناطق التي تشرفت بزيارتها، والتي تحولت الى برلمانات مصغرة، يتحدثون بشؤون البلد، ويتطلعون الى تطوير البلد، ويتطلعون الى مكافحة ظاهرة التصحر، والى تحسين ظروف المعيشة، وتحسين المدارس، والمستشفيات والخدمات العامة.

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الجعفري خلال لقائه عددا من اهالي مدينة الناصرية  
في مضيف زيادة بتاريخ 2009/1/18

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله (تبارك وتعالى) بحق رسوله الكريم:

((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)).

ابتداءً أتقدم بوافر شكري، وعظيم امتناني على هذه الحفاوة الحانية، والشعور الغامر الذي لمستته من خلال اعزائنا وسادتنا، ومن خلال شيوخنا وبالمقدمة السيد العزيز (ابو جعفر سيد جمال)، ولا بد لي من أن أسجل جزيل شكري، وتقديري لسماحة السيد (فاضل) - حفظه الله - على هذه الالتفاتة الكريمة.

قلما يقصد الانسان قبيلة، او قرية تسكن بمكان ناء، وقلما يجد الانسان بمفرديات الكلمات ما يعبر به عن شعوره تجاه منطقة، وقبيلة، وقرية تعطي ما اعطت (الغراف)، وتجود ما جادت به هذه العائلة المباركة.

الشهيد اليوم يحمل قيمة حقيقية، وقيمة اخلاقية، فربما يفخر البعض بأن لهم ابناءً، وبنات لهم تحصيل علمي، يحق لهم ان يفخروا بذلك، الله (تبارك وتعالى)، ميمز بين الناس بالعلم:

((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)).

اما البيت الذي ينجب ابطالاً، ويقدم شهداء، يزودون بأرواحهم، ويعطون دماءهم الزكية من اجل رفعة وكرامته وبنائه، ومن اجل ان يعوا الوطنية العراقية، ومن اجل ان يقهروا ارادة الباطل؛ لتنتصر ارادة الحق، فهذا اعلى درجات الخلق، وهذا سمو يفوق كل سمو.

هذه المنطقة، شاء الله (تبارك وتعالى)، ان يجعلها مباركة ببركة ما اعطت من تلك الدماء، وقوت شجرة الحرية، يشاء القدر ان يكون الشهيد (جبار) مواجهها للطاغية (علي حسن المجيد)، عندما جاء الى هذه المنطقة، وكذلك سيد (جعفر) - تغمد الله برحمته الواسعة- الذي ظهر على شاشات التلفزيون، وكان (علي حسن المجيد) يركله برجله، ويحاول ان يقلل من معنوياته.

لقد رحل الشهيد الى ربه راضياً مرضياً، وها هو (علي حسن المجيد)، يواجه مصيره المحتوم، يرحل الجميع لا يبقى احد تماماً كما رحل الحسين (صلوات الله وسلامه عليه)، وكذلك مات (يزيد)، انما الفرق بين الموتيتين:

((ان تكونوا تآلمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون)).

((ان تكونوا تآلمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون)).

تتفتح ابواب السماء، تتفتح ابواب الجنة، للشهيد والشهداء، ليس هذا فقط، انما يفخر ابو الشهيد وام الشهيد، واخو الشهيد وابن الشهيد، وكل من له علاقة بالشهيد، يفخرون بان لهم علاقة مع الشهيد، الشهيد هو الذي يشفع فيمن يشاء، وهذا ما نتعلمه من ائمة اهل البيت (عليهم افضل الصلاة والسلام)، عندما يتوجهون بالدعاء والادعية لابائهم وابنائهم:

(اللهم ان سبقت مغفرتك لي فشفعني فيهما وان سبقت مغفرتك لهما فشفعهما فيّ حتى نلتقي في دار كرامتك).

هذا الخلق الذي اعتدنا عليه في قبائلنا، وفي دواوين العشائرية، يتحدر من جذور سبقت حتى الإسلام، بل سبقت كل الديانات، لذلك كان خلق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما كانت أمتنا قد سجلت لابناء القبائل هذا الشرف السامق، عندما قال:

(انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق).

مكارم الاخلاق التي سبقت الاسلام، ويقول:

(خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام).

هناك كرم، وسخاء، وشجاعة، ووفاء، وأمانة نشأ، حيث ترعرع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وامتد في اوساط القبائل، لكنه رفض وأد البنات، ورفض

الغدر بالقبيلة، ورفض الثأر بالقبيلة، ورفض الامور السلبية، بينما القيم الحقة، تعامل معها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

في بيت (عبد الله بن جدعان)، الذي كان بيتاً لثلاثة اخوة هم (الفاضل والمفضل وافضل)، كان هؤلاء يجتمعون، ويدعون الناس في بيتهم، وبيت (عبد الله بن جدعان)، هو ما يسمى حلف الفضول قبل البعثة النبوية الشريفة، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لم يُبعث بعد بالنبوة، قد اشار قائلاً:

(لقد دُعيت الى بيت عبد الله بن ابي جدعان، وقد استجبت، ولو ادعى له الآن لاستجبت).

يستجيب لماذا؟.. لأنه ديوان، بل لأن ذلك المكان تحوّل الى مأوى، وملاذ لنصرة المظلوم، واخذ حق المظلوم من الظالم، فعندما يكون ديوان القبيلة، ديواناً يرفل بالعطاء، ويحفظ الكرم، ويطفئ الحرائق فهذا فخر.

نحن اليوم في عصر مؤسسات المجتمع المدني، هذه المؤسسات على الرغم من ميزانيتها الصغيرة وخبرتها البسيطة، والدعم الموجود فيها، قد لا تستطيع ان تحقق ما يحققه ديوان القبيلة.

في بعض الأحيان تعصف الأحداث، وتشبّ حرائق الفرقة، والقتل، والقتل المقابل بين الناس، وتعجز الحكومة من خلال اجهزتها عن إطفاء الحرائق، تأتي القبيلة وتمد جسور المحبة، وتخدم هذه الفتنة، اذن القبيلة وقفت موقفاً مشرفاً، واليوم القبيلة تتطور مع المجتمع، وتسهم في تطويره، ولا بد لنا عندما نرفض من القبيلة شيئاً ان نرفض التعصب القبلي، لكننا لا نرفض الانتماء القبلي، ما من احد منا إلا وينتمي الى قبيلة، سيدنا ورسولنا واشرف من في الوجود كانت ينتمي لقبيلة قريش، لم يتنكر لانتمائه يوماً لكنه عندما تعامل مع قريش، لم يتعامل ويقدم السيئة على الحسنة، او يقدم الفاسد على المصلح، على العكس من ذلك.

(ابو لهب) و(ابو جهل) كانا من اعمامه مع ذلك اقصاهما، وابعدهما وقرب الاعاجم الذين هم لا يمتون له بصلة لا بلغته، ولا بقبيلته، ولا بمدينته، قدم (سلمان الفارسي)، وهو رجل اعجمي، وقدم (صهيب الرومي) و(بلال الحبشي).

هكذا تكون القبيلة، تكون مؤسسة متطورة تجود بعطاءاتها تنفتح على القبيلة العربية عامة، والعراقية خاصة، ما انكفأت ولا انغلقت في مسار التعامل بطول تاريخها وعرضه، وحينما كان المراجع يطلقون صرخاتهم، ويحررون فتاواهم واحياناً يصدرن احكاماً بالجهاد، اول من يستجيب لهم هم القبائل.

هذه الثورات التي تقدمت على مسرح تاريخ العراق، كان أبناء القبائل يحملون صوت الثورة والانتفاضة من مكان الى مكان، وينشرونها من منطقة الى منطقة اخرى، في القرن العشرين كانت الانتفاضة الشعبانية عام 1991، فكيف وقفت القبائل في (الناصرية) و(العمارة) و(البصرة) و(السماعة) و(الحلة) و(كربلاء) و(الديوانية) والمناطق الأخرى، كان رجالها سباقين، وكانت النساء كذلك تستجيب، وتدعم الانتفاضة، وتقدم ما تقدم.

نحن اليوم نتخطى القبيلة التي تقبل على نفسها ان تراوح في مكانها، فالبعض يتصور ان من الشجاعة ان يكون قاسياً، وان يكون منتقماً، واذا قتل منه احد، لا يقبل بالقصاص العادل الذي يحدده الحكم الشرعي، بناءً على القاضي الشرعي او قاضي التحكيم الاسلامي، فيقتل من يشاء انتقاماً!!.

القبيلة اليوم تشهد شيئاً جديداً، انها لا تريد ان تستمر بسفك الدم، وتعلمون مبدأ القرآن الكريم، القرآن الكريم انما شرع القصاص ليس لنشر الموت، بل لحفظ الحياة:

((وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)).

الله شرع القصاص، حتى يوقف عجلة الموت لا ليشيع الموت في حياة الآخرين، الحياة تكمن في القصاص، وليس الموت يُحمل بالقصاص، هذا هو الفهم البليغ، اعلى درجات التخصص القانوني، لا يمكن ان يصلوا الى ما اشار إليه القرآن الكريم.

القبيلة اليوم، لم تكتفِ بأنها تعطل المرأة او لا تعطل المرأة، لا، بل تجاوزت، ودفعت بناتها الى المدارس، وتعلمن، وأخذن اسوة بالزهراء (عليها السلام)، وأسوة بزینب (عليها السلام)، واسوة بالنساء كافة، واسوة برسول (الله صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي قال:

(طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة).

زعيم القبيلة، ورجل القبيلة يفخر اذا كان ابنه وبنته من ذوي الخير، ويخجل اذا كان ابنه وبنته من ذوي الشر والفساد، اما سابقاً حين كانت ثقافة الفحولة سائدة، فقد كان يفخر من كان عنده ابن، ومن كانت عنده بنت تراه منكوس الرأس، بناتنا بنات قبائل، اليوم بنات كريمات، من بيوت كريمة يدخلن في البرلمانات بجلالهن، وبعفتهن، وبحجابهن، ويسهمن في التشريع، ويدخلن في الوزارة، ويدخلن في مجالس المحافظات، ويدخلن في مجالس الدولة المختلفة، بالتعليم، وفي مجالات

الاعمار والبناء في الهندسة، وفي مجال الطب والخدمات الطبية، هذا شيء رائع ولذلك اعيد النظر الان بمفهوم الشجاعة والقبليّة، كما اراده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، عندما عرّف الشجاعة بقوله:

(ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب).

انت تحتاج الشجاعة عندما تواجه خصمك، ولكنك تحتاج شجاعة عندما تواجه نفسك، هذا الجهاد الاكبر، القبيلة، رجال القبيلة اليوم يراجعون انفسهم، امام الانصاف، امام العدالة، على سبيل المثال، عندما نفجع -لا سمح الله- بقتل احد ابنائنا من احدى القبائل، يُفجّع الآخرون بعشرات القتلى عن طريق الثأر!! لا يمكن ان نقبل هذا.

الحق لا يتجزء، والانجاز لا يتجزء، وعمل الاصلاح والبناء لا يتجزء، في كل مكان يجب ان نسهم ونساعد، هكذا تعودنا ولذلك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، كان عندما يفتح على ابناء القبائل، وابناء القبائل، يشعرهم بأنه يميز بعضهم بالحق، جاءت (سفانة بنت حاتم الطائي)، وسارعت الى الانضواء تحت لواء الاسلام، وعندما استعصى وتردد اخوها (عدي بن حاتم الطائي)، ولم يستجب الى نداء علي بن ابي طالب (عليه السلام)، كانت سفانة هي التي دفعت به لان يذهب الى امير المؤمنين ثم يستبصر، ويهتدي إلى طريق الحق.

القبائل اليوم تقدم لنا نماذج رائعة، هذه هي القوة، وهذه هي القيم، وهذه هي المبادئ، ماذا يعني ان تمنى منطقة بهذا العدد الكبير من الشهداء، وماذا يعني يعمر بيت من البيوت... توجد قيم تحركت في هذه الدواوين، وفي هذه البيوت الكريمة، حتى انتجت ما انتجت، نستطيع ان نستورد مختصين من الخارج، اطباء، ومهندسين، واموالاً، ومشاريع من الخارج، لكننا لا نستطيع ان نستورد وطنيين مخلصين، يصلون الى الدرجة التي يقدمون ارواحهم في سبيل الوطن، لا نستطيع ذلك.

ليس كل كلية، او جامعة تربّي لنا انساناً وطنياً لدرجة الموت دفاعاً عن وطنه، لكن في هذه البيوت، والدواوين، حيث القيم الحقّة، والمبادئ الحقّة يحصل ذلك.

لذا باسمي، وباسم اخواني الذين شرفوني بالمرافقة، باسمهم جميعاً اتقدم بجزيل شكري، وتقديري الى سماحة السيد (عبد المنعم)- حفظه الله- وكذلك الى اخينا العزيز سيد (جمال ابو جعفر)، والاخوة الموجودين كافة لهذه الحفاوة، واشكركم شكراً جزيلاً، واتمنى لكم الموفقية، وننتظر على ايديكم مزيداً من النصر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لا قيمة لأن نلعن الفساد ونهادن الفاسد، ولا قيمة لأن ننتقد الضعف، لكننا نبقى على الضعيف، إن عراقاً له مثل هذه الثروات، و يواجه كل هذه التحديات لابد من أن ينهض به ابناؤه البررة، وبناته الحرائر ذوات القابليات، ذوات الامكانيات الممتازة، لابد من أن يتصدى كل هؤلاء لحمل المسؤولية.

.....

العراق اكبر من كل مسؤول، واكبر من كل حزب وقوة، لا يمكن ان يفكر احد بأن يختزل العراق بذاته، ولكن له ان يتسع للعراقيين جميعاً بقلبه، وهو يشعر معهم بالحب، ويتسع بعقله، فيفكر بهمومهم، وطموحاتهم حتى يكون وفيّاً لكل العراقيين من دون استثناء.

.....

إن شعباً أصرّ على ان يواصل الدرب ثلاثة عقود ونصفاً، ضد أعتى دكتاتورية حتى أطاح بها، وزلزل الارض من تحت اقدامها، هو شعب جدير بالاحترام.

كلمة دولة الدكتور إبراهيم الجعفري خلال زيارته قضاء الشطرة بتاريخ

2009/1/19

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم السلام على أشرف الخلق أجمعين سيد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين وجميع عباد الله الصالحين..

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز:

((أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)).

في البداية، أود أن أسدي بجزيل شكري وتقديري، وأعبر عن عظيم محبتي وامتناني لأهالي الشطرة، لكبارهم وصغارهم، لرجالهم ونسائهم.

هذه المدينة التي تحرك على مسرحها أناس أبوا إلا أن تتفتق قدراتهم في أكثر من مجال، هنا على مسرح الشطرة يبدو مشهد التنوع الرائع بين أبناء المذاهب، والديانات، والقوميات، والاتجاهات السياسية المختلفة، وهنا على مسرح الشطرة، أبى الأدب، والشعر، والفن، وأبت اللغة إلا أن تتجلى بأسمى معانيها لتتحدّر على شكل قابليات تأخذ طريقها على لسانهم، وعلى نمطيات سلوكهم، لدى المتلقين من كل أبناء العراق، بل تجاوزوا حدود العراق حتى.

هنا في مدينة الشطرة التي أبت الإرادة الوطنية، والقوى الخيرة إلا أن تبذل خيرة دماؤها، وتجوّد بأزكى ما لديها من شخصيات في سبيل دحر الظلم، والاستبداد، والوصول بالعراق إلى ما وصل إليه.

مجتمع الشطرة، مثل بمكوناته مجتمعاً يتسع الى العراق كله، من خلال مكوناتهم المختلفة.. هذا المجتمع الذي عندما تفتتح عليه تجد فيه، على الرغم من كل التنوعات تجد الوحدة تنبض في عروقه، وتجد نسيجه الرائع يتشكل من خيوط انسجمت بألوانها، لتعكس بمكوناتها العراق كله.

لقد أبت الشطرة إلا أن تكون متقدمة في الكثير من المجالات في الأدب، والشعر، والفن، والرياضة، والتنوع السياسي، وأخير وليس آخراً في التلاوة المعطرة، والتي استمعنا إليها من خلال ابننا الموهوب (محمد شهيد).

مفخرة لنا جميعاً نحن العراقيين، أن نجد في مثل هذه المدينة هذه المواهب المتعددة، ولنا أن نقول، ونعرف العراق الأمل من خلال الشطرة الحالية، التي انسجمت فيها كل هذه العناصر، لا بد من أن نعمّم تجربة كهذه، حتى تكون حالة تنشر ظلها الوارف في كل مناطق العراق.

شهداء كثر، خرّوا صرّعاً هنا على هذه الأرض، متأسين بعملاق الفكر المعاصر، والفيلسوف، والمرجع الديني الكبير السيد (محمد باقر الصدر)، ومتواصلين بالانشداد، والتأسي، والتفاعل مع فكره، من حيث انطلق الى حيث تواصل، ليصبّ ذلك الفكر ويتفتق مرة أخرى، بذهنية واخلاقية السيد الشهيد الصدر الثاني.

لم تبقى تلك الافكار حبيسة الذهن، انما صنعت جيلاً عندما انفتح عليها، ابناء الشطرة تحولوا، وطووا صفحة في التاريخ الى صفحة جديدة، لتحافظ على قابلياتها المختلفة، وتوجه خطابها الرائع في اصداء الثقافة، من منابر الفكر صوتاً جديداً، مدوياً يحكي لك المزج الرائع بين الاصالة والتجديد، هذه باختصار مدينة الشطرة.

اليوم، تأبى الشطرة إلا أن تشارك بمحطات الانتخاب، لتنتقل الى جانب أخواتها الاخريات في اطار محافظة ذي قار، بل في اطار العراق كله، تتوخي، وتتطلع الى الذين يحملون المسؤولية، وهي عندما تستقبل فصل الانتخابات، تستهدف الأكفأ، والاكثر امانة، والأكثر تضحية، وعياً منها لطبيعة المسؤولية، وعياً منها لطبيعة الاهداف المعطلة، وعياً منها لطبيعة التحديات التي قضت مضاجع الآمنين من ابنائها، وابناء المدن الاخرى.

الشطرة ايها الاخوة، لا تفصل في قبلية الانتخاب، مع بعدية الانتخاب، لا يمكن ان تجد المرشح منفصلاً عن واقعهم الحالي، ولذلك سيدقق اهل الشطرة بكل شخصية تتحرك في مسرح الانتخابات لترى مدى كفاءته.

كما الشطرة تشخص جيداً، ان مظاهر الفساد، والضعف التي بدت في أجهزة الدولة، ليست مجرد افكار فاسدة وضعيفة، انما كان وراءها فاسدون وضعفاء، لم يكن ابناء شعبنا يحاربون الفساد، ويلعنون الضعف، ويهادنون الفاسد والضعيف، ومثلما قرأوا الواقع، واكتووا بنار التخلف والفساد، والمحاباة والتمييز، لابد من أن يسهموا في صناعة البديل، والبحث عن المصلح في ظواهر الفساد، والبحث عن القوي الذي يطرد الضعف.

لا قيمة لأن نلعن الفساد ونهادن الفاسد، ولاقيمة لأن ننتقد الضعف، لكننا نبقى على الضعيف، إن عراقاً له مثل هذه الثروات، و يواجه كل هذه التحديات لابد من أن ينهض به ابناءؤه البررة، وبناته الحرائر ذوات القابليات، ذوات الامكانيات الممتازة، لابد من أن يتصدى كل هؤلاء لحمل المسؤولية.

إن المسؤولية التي تتسع لكل العراق، هي المسؤولية التي تريد ان تنهض وتحقق كل اهدافنا، وهي المسؤولية التي تتقصى الفقر إلى الجذر الاخير، حتى تقتلع آثار البؤس والشقاء والفقر، لابد أن نجند كل الطاقات من دون استثناء على اية خلفية كانت، ومن أي دين، او مذهب، او قومية او قوة سياسية... لابد أن يكون البديل الشرعي للفردانية، هو الحكم التعددي، ولا بد من ان يكون البديل الطبيعي



للدكتاتورية، هو الديمقراطية والتعدد.. وعلينا أن لا نختزل العراق بشخص مهما كانت قابليته، وان لا نختزل العراق بأي حزب مهما كانت قابليته.

العراق اكبر من كل مسؤول، واكبر من كل حزب وقوة، لا يمكن ان يفكر احد بأن يختزل العراق بذاته، ولكن له ان يتسع للعراقيين جميعاً بقلبه، وهو يشعر معهم بالحب، ويتسع بعقله، يفكر بهمومهم، وطموحاتهم حتى يكون وفيّاً لكل العراقيين من دون استثناء، ماذا يعني ان تكون مسؤولاً؟؟ يعني... أن تتنّ لكل أنين، لكل فقير، ولكل محروم، يعني أن تعيش صفحات الشهادة، من تلك البيوت المصانع التي أنجبت رجالاً، ونساءً تعلقت اجسادهم على اعواد المشانق، من اجل صناعة هذا اليوم، من اجل تحرير العراق. الفتنة لها وجهان: وجه بالمعارضة تتطلب تقديم الدم، وقد سقط البعض في فصل الفتنة عندما كنا في المعارضة، والوجه الثاني للفتنة، هو الحكم بعد سقوط النظام المقبور، والتجارب تكشف لنا ان الحقيقة التاريخية كشفت عن سقوط البعض في مرحلة الحكم، اكثر من الذين سقطوا في مرحلة المعارضة، لقد سقط البعض في اول جولة إغراء، وفي اول جولة شهوة... سقط هؤلاء أمام أول حفنة مال، نسوا شعبهم، ونسوا الذين صنعوا التجربة، والذين قدموا اولادهم وبناتهم من اجل العراق.

لابد من ان نستحضر هؤلاء جيداً، إن الوطني ليس شعاراً، إنما هو مسؤولية بأن يرتقي المسؤول الى حجم وطنه، الى كل الذين يشكلون مجموع شعبنا في كل منطقة من المناطق، لم يسقط الشهداء من اجل احد، بل استشهدوا من اجل الكل، لم يستشهدوا لمنطقة دون اخرى، إنما استشهدوا لانهم رفضوا الدكتاتورية التي بسطت نفوذها في كل العراق، وأبوا إلا أن يعيشوا القيم كلها من اجل العراق كله، ماذا نقول لحرائرنا، وماذا نقول لأطفالنا من الايتام، واخواتنا من الثكالى، وماذا نقول لايتامنا سقط؟.... لقد سقط كل هؤلاء من اجل ان يتحولوا الى مشاغل على الطريق يشعلون لنا الدرب.

كفى مهزلة، أن نحول او البعض منا يحول الثروة إلى مادة للتكسب.. الصوت الوطني لا يُشترى، انه صوت النوع الذي ينبع من الشعور بالمسؤولية، وهو عقد بين المنتخب وبين قيمه، وبين الله وبين الشعب، ولا يمكن ان يُباع اي صوت من الاصوات... الذين مارسوا التجربة عليهم ان ينظروا بأفق التجربة، إلى ماذا أفرزت التجربة، اين اخطاؤهم ولا يحاولوا ان يغمضوا ابصارهم عن اخطائهم فليكونوا شجعاناً، وينتقدوا انفسهم، ويبدأوا صفحة جديدة، حتى يمكن لشعبنا ان يبدأ معهم جولة جديدة.

نريد من الذين يتصدون للتجربة أن تتسع قلوبهم لكل المواطنين، وأن يحملوا المسؤولية بشرف، وغيره، وأمانة من دون محاباة، ومن دون تمييز بين المواطنين.. هذه المدينة وبقية المدن، لابد أن ترتقي إلى مستوى ما حباها الله من النعم المتعددة... من الظلم أن تبقى الناصرية تعيش على هذا الحال، وهي ذات التاريخ الموغل بالقدم، حيث الحضارة في خطواتها الأولى، وحيث الحرف، وحيث الاسطوانة رمز العلم، وحيث الحضارة والبناء، بناء المدن، وحيث العجلة علامة الحركة، وحيث القيم التي رفع لواءها، ابو الانبياء.

لا يكفي أن نتغنى بالتاريخ، ان بلدة لها مثل هذا التاريخ لابد ان تدور، وتحول تاريخها الى حاضر، لابد ان ترفض الظلم، لانها ذاقت واستمرت طعم العدالة، لابد من ان تبدد الجهل، لانها رفعت في تأريخها، وعبر اجدادها، وآبائها مشاعل العلم والمعرفة، لابد ان تحول الدستور، والقانون الى ممارسة، والى عرف يجري بين الناس، لا ان يكون لافتة هنا ولافتة هناك.

هذا البلد الذي فرز اول لائحة قانونية في الجزاء، في زمن حمورابي 1792 الى 1750 قبل الميلاد، لابد ان يعيش الان معنى القانون، القانون الذي يؤمن لكل مواطن حقه، ويذكر كل مسؤول بما عليه من واجب يجب ان يؤدي الى المواطنين، لابد ان نضع حداً لحالة الفقر التي تتسع، والتخلف الذي ينتشر، لابد أن نضع حداً لهذا، وما عقم رحم العراقيين عن أن ينجب انساناً كفواً، امرأة كان او رجلاً، حتى يملأ هذه المواقع، ويصعد بالعراق الى حيث ينبغي ان يكون.

ما للبعض لا ينظر الى الاكفاء والاقوياء من مختلف الديانات والمذاهب، ما لهم يبحثون عن نقاط الضعف وعن نقاط الاختلاف، لماذا لا يعرفون عنهم نقاط القوة، لماذا لا يعون المشترك بيننا وبين الآخر، الآخر في العراق عنصر حياتي، وحيوي لايمكن ان نتخلى عنه، ورثنا عن آباءنا، واجدادنا الآخر، وعشناه عرفاً في ازقة المدن التي عشنا فيها، كل واحد منا يجد الآخر الآخر القومي، والآخر الديني، والآخر المذهبي، والآخر القبلي، والآخر المناطقي.

إن هذا إرث حضاري، ما خلق الله (تبارك وتعالى)، الناس مختلفين ليقاتلوا، او ليُقْصَى بعضهم بعضاً، وهو (تعالى) القائل:

((وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)).

ولم يقل لتقاتلوا، أو تتشامتوا وتتسابوا وتتلاعنوا، والذي يريد ان يتعارف، عليه ان يتذكر هذه القيم الانسانية التي اختزلتها الاية القرآنية الكريمة:

((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)).

أي: آمنكم، وأكثركم تضحية، وأكثركم إثارة للآخرين على نفسه، لابد ان نضع حداً لهذه التداعيات، الذي يمضي الزمن من دون ان نجد تحسناً حقيقياً.. كلنا نتحمل المسؤولية من دون استثناء، علينا ان نستقبل كل فرصة من الفرص للانتخابات... يجب ان نبحث عن اقوى البرامج وأكفأ البرامج، وأكثر البرامج قدرة على التطبيق، وأن نبحث عن أكفأ العناصر، وأمنها، وأكثرها تضحية، بهذه الطريقة نستطيع ان ننقل بالعراق من هذه الحالة الى الحالة الاخرى، بهذه الحالة نستطيع ان نطرد الفقر من العراق.. بهذه الحالة نستطيع ان نعيد الالبتسامة المسروقة، من شفاه الاطفال والارامل، حتى تكون مجالسنا، مجالس مسؤولية.

إنني فخور عندما استمع، وانا انتقل في الدواوين بمختلف المناطق التي تشرفت بزيارتها، والتي تحولت الى برلمانات مصغرة، يتحدثون بشؤون البلد، ويتطلعون الى تطوير البلد، ويتطلعون الى مكافحة ظاهرة التصحر، والى تحسين ظروف المعيشة، وتحسين المدارس، والمستشفيات والخدمات العامة.

عندما يكون الشعب قد وضع هذه الأمور في باله، وعندما تكون هذه الهموم حاضرة في كل مجلس فإننا بخير، وعندما يضع المواطن بين يديه ما يحتاجه الشعب، وعندما لا يُستدرج المواطن الى معركة موهومة، او عدو موهوم، تجده يتكلم، وينبض بأدب الوحدة، وبأدب احترام الآخر، يحمل هموم الجميع، ولا يختزل نفسه في ذاته، ولا في قبيلته، ولا في حزبه، ويحمل هم العراق كل العراق، من دون تفريق بين احد وآخر.

إن شعباً أصرّ على ان يواصل الدرب ثلاثة عقود ونصفاً، ضد أعتى دكتاتورية حتى أطاح بها، وزلزل الارض من تحت اقدامها، هو شعب جدير بالاحترام.

إن شعبنا الذي صنع ما صنع، لهو جدير بأن يواصل صناعته، وجدير بأن يتعامل مع الآخرين، وسيأبى إلا أن تتسع التجربة لكل ابناء العراق من دون استثناء.. لا يمكن ان نختزل بأي جزء من اجزاء العراق، بمعزل عن الاجزاء الاخرى.

مرة اخرى، اتقدم بجزيل شكري، وعظيم امتناني لكم جميعاً، ومن خالكم لكل ابناء هذه المدينة المباركة المعطاء، واتمنى لكم دوام التوفيق، وأذكركم بأن الانتخابات القادمة مسؤولية نتحملها جميعاً، راعينا من جملة ما راعينا في اختيار مرشحين: الامانة، والكفاءة، والايثار، ومراعاة الفقراء، والابتعاد عن الفساد، والتورط

بالعقود، وما شاكل ذلك، حتى نجعل هذه الاموال تذهب الى مالكيها الحقيقيين، عهود شرعية غليظة أُخِذت على الاخوة، والاخوات الذين مثلوا قائمة الاصلاح.

لذا، عندما تبدو على بعضهم، او على احدهم مفارقة ما - لاسمح الله- الله سيراقتهم، وشعبنا سيراقتهم، ونحن نراقبتهم ايضاً، لانهم بذلك أساؤوا حمل الامانة امام شعبنا، ونقضوا عهداً شرعياً، والله (تبارك وتعالى)، يقول:

((وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا)).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من يضع نفسه أمام المسؤولية، يرى أن الجميع اولاده، كل المواطنين اولاده، المدني والعسكري، الرجل والمرأة، الصغير والكبير، الصحيح والمريض، الذي يعمل والعاطل عن العمل، كلهم أولاده.

.....

ذهب ذلك الوقت الي يخاف فيه الناس من الشرطي والعسكري، واذا وقفت سيارة الشرطة الناس ترتجف، اليوم عندما يأتي الشرطي تأمن الناس، هذا معنى الوطنية، أنا مواطن لم افعل السوء، فلا اخاف، هذا المفروض ان يحدث الآن.

.....

نحن نتفانى من اجل الشعب، ونريد من الناس الذين يحملون هذا الاسم، ان يثبت فعلاً أننا أصلاحيون، والذي فعلاً يرى فساداً لا يبقى ساكناً ويبكي عليه، بل يقول: لدي حل، ويهرع الى الناس، والناس تسعى معه.

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الجعفري خلال لقائه عدد من اهالي مدينة الناصرية  
في مضيف السيد محسن الحصونة بتاريخ 2009/1/19

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته..

قال الله (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:

((فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)).

في البداية أتقدم بخالص الشكر والتقدير للسيد محسن، وللإخوة الأعزاء، والسادة والشيوخ، وأبناء المنطقة كافة على هذه الحفاوة...

يربطني هذا اليوم بذكرياتي من عام 1978، أي: قبل 31 سنة مرت بما تحمله من مأسٍ، ومشاكل ومعاناة، فعندما جئت إلى هذه المنطقة (سيد دخيل) كطبيب، كان القرار أن أذهب إلى منطقة غير (سيد دخيل)، وبعد أن وصلت إلى الناصرية، وجدت ان موقع عملي تغير من تلك المنطقة، الى سيد دخيل، سألت عن السبب، فقالوا لي بصراحة :

لان المنطقة ليس فيها كهرباء، ولا ماء، ولا شارع معبد، وهي منطقة تقع بين الناصرية وبين الإصلاح، فقلت: خيرا إن شاء الله.

جئت إلى سيد دخيل؛ فوجدت فيه كادراً من الموظفين منهم (جلود)، وسمعت أمس أنه توفي (رحمه الله)، ووجدت فيها كذلك (أبو رغيف، ويوسف يعقوب) ووجدت فيها (حسنة الممرضة)، ووجدت فيها عاملين اثنين اسمهما (هادي، وسيد طاهر)، فلا أعرف هل تتذكرونهم أم لا؟.

كنت أول طبيب أدخل عليهم، دخلت فوجدت أحدهم جالساً خلف المكتب لا يعرفني، فسألته: ماذا تعمل هنا؟ فقال: أنا معاون وقائي، فسألته كيف تعالج؟ - الله يجزيه بالخير- عرّفته بنفسه، وقلت له: أنا طبيب، أول طبيب يدخل المنطقة، فبدأنا على محبة الله، وامتدت علاقتي بآل إبراهيم، وزارني سيد (محسن) في المستوصف، وقال لي: نحن عادة لا نزور نحن نزار، لكنك سيد فأنت استثناء، فيا أهلاً وسهلاً ومرحباً، حيى الله السيد، وهو يسمعي الآن، بدأنا على محبة الله.

صحيح أن المنطقة فقيرة في ذلك الوقت، وكانت أفقر من الآن، لا يوجد شارع معبد، ولا توجد خدمات، والماء يأتي متقطعاً ولمدة ساعتين، ولا توجد كهرباء وكنا نستخدم الفانوس، لكنها منطقة غنية بالأخلاق، والقيم والمبادئ، والعادات الاجتماعية، وانسجمت معهم، تعرفت في هذه المنطقة على العديد من الناس الخيرين، وتبادلنا الزيارات، وكنت أزورهم كأصدقاء ومحبين، والله يعلم.

لكن ما يؤسفني أن ناحية سيد دخیل مازالت على حالها... عندما جئت إليها وجدتھا فقيرة المال، وفقيرة الخدمات، لكني وجدتھا غنية بالأخلاق، وبالمبادئ، والشهامة، ويجب أن لا نكتفي بأن تكون غنية بالقيم والمبادئ، يجب علينا أن ننظر إلى هؤلاء الناس، لو لم يكن لديهم خير، فلنتحرَّ أبواب الخير، ونذهب، ونسعى لهم، ونعطیهم إياه، فكيف بنا وهم أهل الخير.. هذا الهور بجانبهم، وهذه الثروة الحيوانية، والثروة السياحية، وثروة النخيل والزرع، وثروة التاريخ والحضارة، وثروة النفط، لو لم يكونوا يملكون لجلبنا لهم، فكيف وهم يملكون.

هذا كله يحتاج لرجال ونساء يعملون، يحتاج أناساً يعملون باخلاص، فتنحوّل هذه الثروة إلى شيء يُعيد الزراعة إلى مكانتها.. نمتد إلى الثروة الزراعية، ونعيد الثروة النفطية حتى تتسع، وتغني، ونعيد الثروة السياحية، بحيث تصبح هذه المناطق سياحية..

أوباما.. وهو أحد الملّونين السود أول رئيس جمهورية في الولايات المتحدة، من أين أصله؟ من كينيا، بدأ الناس يحجزون تذاكر الطائرات إلى كينيا، يريدون أن يشاهدوا المنطقة التي وُلد فيها أوباما في كينيا، الناس هكذا، هؤلاء عندما يقرأون عن تاريخ الحضارة، وعندما يجدونها في العمارة، والناصرية، والأهوار، ويقرأون عن الحضارة السومرية، وأصل الكتابة، وأصل التاريخ، والحضارة، وعندما يقرأ الفنانون عن القيثارة، عنوان الفن والموسيقى، فجميعها هنا، لكن لا أحد يستقطبهم، ولا أحد يقول لهم إذا جنتم ستجدون فنادق، وتجدون أسواقاً، لا شيء من هذا، لذا لا يأتون.

المفترض أن نفتح هذه المنطقة على السياحة، هذه ثروة إضافة إلى الثروات، والعتبات المقدسة للأئمة الأطهار (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، بعض أنبياء الله (تبارك وتعالى)، هنا بالناصرية نبي الله (إبراهيم) حامل لواء التوحيد، وأبو الأنبياء وشيخ الأنبياء، نبي الله (يونس)، في الموصل، و(ذنون)، في الموصل، وبعض رجال أمير المؤمنين (عليه السلام) في الكوفة في العراق.. ولنترك كلام من يتقولون على العراقيين، مستغلين نقد أمير المؤمنين (عليه السلام)، صحيح أن أمير المؤمنين انتقد العراقيين، وكذا الإمام الحسين (سلام الله عليه) انتقد العراقيين، لكن في حالة استثنائية، وفي ظروف انتهت في وقتها..

العراقيون اليوم فدوا الإمام الحسين بأولادهم، وبناتهم، وكبارهم، وصغارهم، لنفتح تاريخ هذه الثورات، ولترَ الناس، وسترى العراق، وعز العراق، وقيم العراق، وولاء العراق لأهل البيت (عليهم السلام).

في الوقت نفسه، هناك ثروة اقتصادية فالأرض القاحلة في الناصرية كبيرة، ولا يوجد فيها فنادق، البارحة فتح لنا أحد الإخوة بيته، فجزاه الله خير الجزاء، وتفضل علينا، لا توجد فنادق، ولا يوجد أي شيء، لماذا لا توجد فنادق، كربلاء والنجف لو اخذناهما مدينة، مدينة ليستا أكبر من الناصرية بل اصغر منها، تلكما المدينتان فيهما فنادق؛ لأن الفندق ليس له علاقة بابن المدينة، بالإمكان أن يقف الناس طوابير، في الناصرية لزيارة عتباتها المقدسة، ومناطقها السياحية والحضارية.. يجب أن نسعى من أجل هذا، ويجب ان نع.ه، ويجب أن نحقق فرقاً نوعياً جيداً عندما تأتينا مواسم انتخابية، ونتجاوز المشاكل، ونأتي بحلول.. نسأل أولاً عن برامجنا، وما الشيء الذي يجب ان نلتزم به، ما عادت الامور كالسابق، فالزراع تهدده الآفات، والنخل تأكل به دودة الدوباس، وكذلك بقية المزروعات، فتكت بها آفات زراعية، هذه تتطلب خططاً، ويحتاج مواد كيميائية، ويحتاج الى تصنيع ومكننة، وتنظيم شبكة الري، والعراق من قبل يتكلم بشبكة الري، من 1792 الى 1750 قبل الميلاد، قبل اربعة آلاف سنة، حمورابي كتب في مسئلة عن شبكة الري وتنظيم الماء.. يجب ان يذهب الى العشائر التي تستثمر الماء، وتحيي الأرض وإلا نقطع الماء عنها.

يجب ان نجلس هنا لنخطط، لماذا يهدر هذا الماء، يجب ان يحيي الارض، انظر الى الجمالية القرآنية في الآية القرآنية الكريمة:

((فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً)).

هذا الذي ترونه من بعيد متوهج، مثل الرجال، الرجال ايضا معادن، تراه من بعيد ويتكلم كثيراً، وعنده بريق، اول (هبة) لا تجد له اثرأ:

((وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)).

لماذا؟ انظر الله (تبارك وتعالى)، كيف جعل منفعة الناس ومحبة الناس:

(أحبّ لأخيك ما تحب لنفسك).

يجب على المتصدي ان يملك قلباً كبيراً يتسع لكل الناس.. يجب ان تكون يده سخية، يبذل لكل الناس، مثل اب لديه مجموعة أولاد.

من يضع نفسه أمام المسؤولية، يرى أن الجميع اولاده، كل المواطنين اولاده، المدني والعسكري، الرجل والمرأة، الصغير والكبير، الصحيح والمريض، الذي يعمل والعاطل عن العمل، كلهم أولاده، ماذا نعمل؟ نحتاج الى خطط، خطط تنموية

تتكفل بتحسين الوضع، ونحن عندما نواجه انتخابات، فلسنا في مقهى، وأيهم يأتي نلقي عليه التحية، ليس بهذا الشكل، احسب حساب السنين التي مضت، كيف أمتنع تكرار الأخطاء، كيف أحافظ على نجاحاتي، كيف أخطط للسنين المقبلة على ضوء ما أفرزته السنون التي مضت، لكي لا تعاد وتحدث مشاكل.

الانتخابات، ليست قضية عاطفية أمر عليها مرور الكرام، بل أجلس وأحاسب نفسي، وأسأل ما هي خطته هذا الآتي، ما هي سمعته؟ ماذا تقول الناس عنه؟ نحتاج الى انسان امين، انسان راشد، نحتاج انساناً قوياً، انساناً كفواً، نحتاج انساناً يقدم حياته من اجل شعبه، كل هؤلاء اولادنا واعزاوننا، نتشرف بهم، لديكم هنا - ما شاء الله- في الناصرية، قيل 1075 وقيل 1069 مرشحا، أهلاً وسهلاً بهم ، طبعاً ليس كلهم سيفوزون، والبقية كلهم اولادنا، وبناتنا سواء فازوا ام لا.

المسؤولية مسؤولية، يبقى الانسان الوطني ينظر له قبل المسؤولية وبعدها.. كيف كانت وظيفته هل لديه حس وطني، او لا يملك حساً وطنياً، وهل لديه حس انساني، او لا يملك حساً انسانياً، عندما كان يعمل هل كان يضع شعبه امامه، او شيئاً آخر، اما ان يضع مصلحته او يخاف من مسؤول، لم نعمل شيئاً، مشكلتنا كانت أن صدام حوّل الاجهزة كلها بيده، نحن نريد اجهزة دولة، اجهزة تخدم الشعب، وتخدم المسؤول، لانه واحد من الشعب، لذلك ترون الآن كم فرق بين قواتنا الان عن قواتنا قبل، في السابق كانت قواتنا ليس لديها مانع إذا قيل له اقمع الانتفاضة، يقمع الانتفاضة، الان هو اصبح ضحية، يضع صدره الى الامام والارهاب يضرب به.

الآن لدينا عدد كبير من شهداء الجيش والشرطة، استشهدوا بالآلاف، هذا وضع جديد، ذهب ذلك الوقت الي يخاف فيه الناس من الشرطي والعسكري، واذا وقفت سيارة الشرطة الناس ترتجف، اليوم عندما يأتي الشرطي تأمن الناس، هذا معنى الوطنية، أنا مواطن لم افعل السوء، فلا اخاف، هذا المفروض ان يحدث الآن..

راعيانا في اختيار مرشحيننا (مرشحي تيار الاصلاح الوطني)، الأمانة.. راعينا الكفاءة.. راعينا السمعة الطيبة.. راعينا النزاهة، واقول لكم بصراحة: راعينا العمر بشرط التجربة والكفاءة.. أوصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالشباب :

(عليكم بالشباب).



وكذا أمير المؤمنين (عليه السلام) أوصى ولاته عندما عانوا من مشاكل، فقال لهم:

(عليكم بالشباب).

والقرآن الكريم ركز على الشباب:

((نَحْنُ نَقْصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)).

عندما نختار الشباب، ليس معناه أن نستغني عن تجارب السابقين، بل نستفيد من خبرة الكهول، والشيوخ، والكبار سواء كانوا مرشحين، او مواطنين، حتى يضيف الشاب إلى تجربته، والشباب عندما يكون موهوباً يجعل الله (تبارك وتعالى)، فيه الخير والبركة، لكننا لا ننظر فقط الى العمر.

اتذكر قصة من التاريخ، أن (عمر بن عبد العزيز)، جاءه وفد من الناس ليهنأوه بالخلافة، والبواب، عندما يأتي وفد من مصر من الأمصار يقول له بتعبيره: يا أمير المؤمنين، اتاك وفد المدينة المنورة، فتوقع انهم من التابعين او تابعي التابعين، يوجد صحابة وتابعون وتابعو التابعين.

المفروض ان يأتوا كباراً في العمر، وفعلاً كل من أتوا كانوا أناساً كباراً، فقام شاب صغير وقف ليتكلم، فنظر إليه فتوقع (عمر) أن عمره 11 او 12 سنة، وقبل أن يبدأ بالكلام، قال له (عمر بن عبد العزيز): أ لم يجد قومك من هو أكبر منك سناً، فقال: يا أمير المؤمنين، اذا كانت القضية قضية عُمر، فما الذي جاء بك الى الخلافة، وانت لست اكبرنا، إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فتنبه عمر، ونظر إليه؛ فقال له: عظمي.

عندما ننظر إلى الكفو، وعقله الكبير كي يفكر، وقلبه الكبير حتى يتحمل، لأن العملية السياسية تحتاج أناساً كبار العقول، المشكلة التي يستطيع ان يحلها يحلها، والتي لا يستطيع ان يحلها يواسيه، المشكلة التي احلها احلها، والتي لا يستطيع ان احلها فبصدق اقول لك: اعمل على حلها، نحن حاولنا جهد الامكان، أن نراعي فيهم الأمانة وحسن السمعة، والخلق، أمس ذهبت الى احد البيوت، ورأيت بعض المرشحين، وانا ممنون من السيد (ابي سمية)، وبقية الاخوة الذين رشحوا.

نحن نتفانى من اجل الشعب، ونريد من الناس الذين يحملون هذا الاسم، ان يثبت فعلاً أننا أصلاحيون، والذي فعلاً يرى فساداً لا يبقى ساكناً ويبكي عليه، بل يقول: لدي حل، ويهرع الى الناس، والناس تسعى معه.

هذا المنطقة تحتاج ماء وكهرباء، والمنطقة زرعها غير جيد، تحتاج سماداً، وتوجد بطالة، وتوجد نساء أرامل، ويوجد اطفال ايتام، والمنطقة بحاجة إلى مدارس، هذا الناس تعرفه، وإذا جلست معهم فسيعطونك محاضرات عنه، لا تحكي هذا الكلام الكلام لا يفيد، الحال بحاجة الى عمل، على المرشح أن يجلس، ويقول: إن هذه المأساة موجودة، وهذه خطتي وهذا جهدي، نريده عندما يجلس في مجلس المحافظة أن يكون رأيه قوياً، ومؤثراً في الآخرين.

كل المرشحين، وإن كانوا من غير قائمتنا أولادنا وبناتنا، ونحن اعتمدنا في القائمة الناس الطيبين، وشبابنا وأولادنا - يحفظهم الله- وحاولنا تحري مدى الأمانة فيهم، ومدى قابليتهم، ومدى نزاهتهم، ومدى ثقة الناس بهم.

لا نريد ان نختارهم، نريد شعبنا أن يكون هو من يختار، وحتى بعد الانتخابات على أعضاء المجلس أن يجلسوا مباشرة مع المواطن، وينزلوا عند همومه بمشاعر طيبة، وصادقة، بالأمس كنا في (الغراف)، وقبلها ذهبنا إلى (العمارة) و(الكوت) و(كربلاء).

في (الكوت)، لم تكن هناك فرصة كبيرة، لكن في (العمارة)، رأينا قرى، وفي (كربلاء)، و(الحلة)، وفي (الرميثة)، ومناطق أخرى، الشعب نفس الشعب، وهذه المفارقة يجب أن نعالجها، ليس من المعقول ان الناس جميعهم اجتمعت كلمتهم ان العراق اغنى بلد، قالها لي شيخ زايد (رحمه الله) في الإمارات، وقالها لي الملك (عبد الله)، أيام المعارضة حين كان ولياً للعهد، حتى سمعتها من (فهد)، وسمعتها من امير الكويت.

عندما تجلس مع هؤلاء يتكلموا اكثر منا، انتم كذا، وخيركم كذا، هذا شكلكم وهذا وضعكم، وكل شيء يعرفونه جيداً، ثروات العراق متعددة، لكن ماذا يحتاج العراق؟ العراق يحتاج الى رجال ونساء، حتى نضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

أنا لا اتصور ان المعلم يؤدي دوره وراتبه لا يكفي نصف شهر، اريد منه ان يهتم بأولاد الناس، اريد منه ان يخرج الى القرى والارياف، ويغطيها، في الوقت نفسه عندما يعمل له حق علي.. أريد عسكرياً يذود بحياته، ويدافع عن شعبه، ويعلم بنفسه أنه يتعرض الى مخاطر، فلا نتوقع أن يؤدي أي دور، وهو يتوقع أنه إذا استشهد فإن الدولة لا ترعى أرملته، ولم تذكر أمه وأباه؛ فيكون هذا الدور صعباً عليه، والحال نفسه في مجالات الهندسة، والزراعة.

مرة أخرى، نتقدم بالشكر الجزيل للسيد (محسن)، على هذه الضيافة، التي أرجعنا الى الذكريات - بارك الله فيك- منذ 31 سنة هذا السيد الجليل، وهذه المنطقة المعطاء أتذكر مرضاهم.. أخيارهم.. عيون عشائهم.. موظفيهم، أتذكرهم جيداً، هذه المنطقة فيها قيم، - وإن شاء الله- تصعد الى جانب كل القرى، وكل النواحي، كل الاقضية، لترتقي، وتزهو، وتضحك، معتمدين على جهود كل الابرار من اولادكم وبناتكم.

نتمنى لكم الموفقية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.